العدد الثالث

السنة الثانية عشرة

الكلية العربية

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات في السنة

قيمة اشتراكها السنوي ٢٥٠ ملاً في السنة

مطبعة مرآة الشرق — القدس

ع م
٢١٩٢

الكلية العربية

العدد الثالث في ٥ حزيران سنة ١٩٣٢ الموافق ١ صفر الهجري سنة ١٣٥١

كيف ينشئون الاخلاق

في المدارس الانكليزية

كتبت ل · ستيوارت

كل من يدرس نظام التربية في انكلترا عليه ان يأخذ بعين الاعتبار التأثير العظيم الذي تحدثه المدارس الثانوية المعروفة بالمدارس العمومية والتي اقدمها كلية ونشستر التي اسسها وليم وايكهام · ومنذ ذلك العهد تأسست مئات المدارس للبنين والبنات ولكل منها خصائص مستقلة بارزة · على ان اكثر هذه قد انشأت بعض عادات اصبحت محترمة على ممر الزمان ، كما انها اوجدت اساليب وطرقاً تربيوية اختصت بها في الاصل اقدم هذه مثل كلية ونشستر وايتون وشربورن ، وغيرها من المدارس التي اسستها الاحزاب الصناعية في القرون الوسطى ·

ولقد اهتم الرأي العام في الخريف الماضي عندما اصبحوا يبحثون في الرسوم الباهظة التي تتقاضاها هذه المدارس ، وتلقت امهات الجرائد رسائل عديدة ومقالات كثيرة تبحث في هذه المشكلة وتقدم حلولاً

مختلفة وقام الآباء الذين ازدادت الضرائب التي يدفعونها وقل دخلهم يطلبون الاقتصاد في النفقات مما يخفف عنهم عبء هذه الرسوم المدرسية الباهظة ، على ان اهم مايستوقف النظر في هذه الابحاث ان جميع الآباء كانوا متفقين على ابقاء ابنائهم في هذا النوع من المدارس الثانوية المعروف بالمدارس العمومية بدلاً من ارسالهم الى المدارس الثانوية المحلية التي هي اقل نفقات والتي قد يستوي التعليم فيها والتعليم الذي يعطى في هذه المدارس العمومية بل قد يفوقه . فقد كان من رأيهم ان المدارس العمومية هذه تنشئ بعض خصائص اساسية في التربية بدرجة اعظم من غيرها من المعاهد ، وان هذه الخصائص لها قيمة عظيمة بحيث ان الاباء مستعدون لعمل جميع هذه التضحيات مقابل ابقاء ابنائهم في هذه المدارس .

ان مدارس انكلترا العمومية لها مستوى تحسد عليه ، ويرجع الفضل اليها اكثر من غيرها من المدارس في البلاد الاخرى بانها تنشئ بعض صفات خلقية تمتاز بها عن غيرها . فانها تنشئ في طلابها روح الرجولة والاستقامة في الخلق ، واحتقار الكذب والدناءة ، والطاعة ، والقيادة ، وروح شجاعة لا تعرف الخوف ، وشعوراً قوياً بالمساواة العادلة للجميع . فان الرجل الذي نشأ في هذه المدارس يتصف بانه اليق للامر ، وافضل من غيره لاستلام المراكز ذات المسئولية ، وانه يملك شعوراً ارقى من غيره من خريجي المدارس الاخرى من حيث انه فرد في هيئة اجتماعية ، زد على ذلك انه متواضع في مزاياه في اللعب او في العلم والمقدرة .

وفي هذه المدارس ظاهرتان لهما قيمة ثابتة لاريب فيهما ولهما نظام تقسيم المدرسة الى ابنية اووحدات ، ونظام العرفاء

اما نظام الابنية ، فانه يجهز الطالب بمركز يحصر فيه رغبته واخلاصه طول مدة دراسته فانه يشعر شعوراً خاصاً بانه ينتمي الى بيت مخصوص، يشارك اهل ذلك البيت في احزانهم وافراحهم ، وخسارتهم وانتصاراتهم ، ثم يأخذ يدرك انه يلعب دوراً في مقدرات ذلك البيت الذي هو جزء منه . ففي هذه الهيأة الاجتماعية الصغيرة يتعلم على ممر السنين مايساعد او يؤخر تقدم جماعته .

ومبدأ تقسيم المدارس العمومية هذه الى ابنية او بيوت معناه ان تقسم المدرسة الى اقسام اربعة او خمسة حسب كبر المدرسة او صغرها . وهذه الاقسام يطلق عليها اسماء الابطال الوطنيين او احدى الرايات ، او الاشجار ، او البلدان . وكل طالب يلتحق بجماعة مخصوصة . وليس هناك محاولة للتقسيم على اساس معلوم او للاختيار ، ولكن الاخوين أو الاختين يسمح لهما ويشجعان على الالتحاق بالجماعة التي التحق بها اخوتهم الكبار او اباؤهم من قبل ولكل جماعة شعار خاص ، ورمز او علم خاص . ولهم طاولة خاصة يتناولون عليها طعامهم . وترتب المباريات الرياضية بين الجماعات لابين الصفوف ، وما يناله الافراد من التقدير او علامات الشرف يسجل باسم الجماعة التي ينتمي اليها ذلك الفرد وليس لنفسه . وتتبع ذات الخطة فيمايتعلق بالنجاح العلمي او السلوك . فالتأخر

الذي هو (البعبع) الذي يخشى منه الطلاب في المدارس الخارجية ، يقيد على الجماعة التي ينتمي اليها الفرد فيؤثر على مركزها ، كما ان القصاص الذي يجازى به الطلاب لضعف عملهم يؤثر على مركز الجماعة . وفي نهاية السنة ، يعطى العلم المدرسي او الترس للجماعة التي فاقت غيرها في السلوك او في العمل المدرسي او الالعاب الرياضية . ولقد اثر عليّ كثيراً اهتمامهم في عدم تمجيد عمل الفرد . ولا ريب ان الروح التي يتحلى بها الانكليز عندما يكافأون على عمل مجيد قاموا به ، تلك الروح المشبعة بالتواضع هي وليدة ذلك النظام وتلك التربية الى حدٍ ما .

ان مثل هذا النظام يرمي بلا ريب الى تخفيف روح المنافسة الضارة بين الطلاب الذين يتفوقون في الالعاب او الدروس . ثم انها تمنع نشوء صفوف « متأخرة » كما هي الحال في البلدان الاخرى ، بحيث ان مثل ذلك الصف يفتخر بعمله الضعيف ، وعدم اطاعة القانون ، وانشغاله بسفاسف الامور . اذ في النظام الانكليزي يتألف كل صف من اعضاء من جميع الجماعات ، وكل عضو يعرف ان عمله الضعيف ، او كسله او اي سوء سلوك يبدر منه ، يؤثر على مقام الجماعة التي ينتمي اليها . هكذا تنشأ في الطلاب عادات قهر النفس وقيادتها قيادة ذاتية من اجل مصلحة المجموع ، وهكذا يفتح الطريق الطبيعي لتدريس الطلاب الدرس الاول في الوطنية الحقة .

ويأتي مع نظام « الجماعة » في المدارس الخارجية ميراث المدارس

العمومية الآخر وهو نظام العرفاء الذي اوجده لاول مرة وليم ويكهام قبل ست مئة سنة ، والذي تمشت عليه من ذلك التاريخ اكثر مدارس انكلترا العمومية . اذ باشتراك العرفاء مع المعلمين في الحكم يتعلمون صناعة الحكم . فان من الثابت ان انكلترا تسبق جميع بلدان العالم في حسن نظام حكومتها . افلا يكون امتيازها في هذه الصناعة ناجماً بعض الشيء عن تأثير اولئك الرجال الذين تمرنوا في سن طفوليتهم وشبابهم على ان يحكموا ويحكموا في بيئة اصبحت حياة الجماعة التي تعمل كفرد فيها من الضروريات ؟ ومن الادلة على اهمية روح الجماعة هذه ، ما اظهرت الجماعات الانكليزية من روح التماسك والاتحاد في الانتخابات الاخيرة تلبية للواجب الوطني .

اي درس نستفيد نحن من هذه الاساليب التي اثبتت العصور صحتها وفائدتها ؟ فان من السهل علينا ان نقوم بتجارب تشمل هذه المبادىء في مدارسنا الكبرى ولا صعوبة في ذلك . ومن السهل السير على هذه المبادىء في المدارس الصغيرة ، ان مبدأ الحذر في اختيار اقدر الطلاب في صفوف خاصة ، يحتاج الى نظام الجماعة فان نظام الجماعة يؤلف وحدات صغيرة الى درجة يستطيع الفرد فيها ان يشعر انه يؤثر فيها . فالطالب البليد ، الذي لا يتفوق في الالعاب الرياضية قد يقدم لصالح الجماعة التي ينتمي اليها خدمات عن طريق الحضور في الوقت المعين والدوام على المدرسة ، وهذا النظام يفضل نظام الصفوف في ان اثره لا ينتهي عند

انتهاء السنة المدرسية ولكن الاثر يظل فعالا طيلة الحياة المدرسية . ثم ان هذا النظام يجهز المؤثرات الكافية للمنافسة والمباراة المستحبة دون تمجيد المتفوق تمجيداً اكثر مما يستحق ، او تثبيط همة الكسول . كما ان هذا النظام يبعث في الحياة المدرسية روحاً وانتعاشاً ويخفف من كونها على وتيرة واحدة كما يحدث للفحوص المدرسية ، والمباريات المدرسيةوغير ذلك من الاعمال الاجتماعية في المدارس ، ثم ان هذا النظام يولدفي اعضاء الجماعة المتقدمين روح مسئولية تجاه الاعضاء الصغار ، الذين يعودون ان يشعروا بان لهم هم ايضاً نصيباً في استمرار ونمو التقاليد الجيدة التي تحتفظ بها تلك المدارس .

خط سيبريا الحديدي (١)

تفاخر كندا بان خطوطها الحديدية تمتد من الاوقيانوس الاطلنطي الى الهادئ . ولكن آسيا هي اكبر حجماً من الاميركيتين معاً الشمالية والجنوبية ، وان اقصى طولها من الشرق الى الغرب ، وخط سيبريا الحديدي يصلها من طرفها الواحد الى الآخر في اقصى طولها ، وليس الامر كذلك فانها تمتد مخترقة سهول روسيا الى بتروغراد ، فلو ان خط كندا الحديدي الوطني من (فنكوفر) بدلا من ان يقف في (هاليفكن)

(١) عن مجلة المدرسة الكندية

اجتاز المحيط الاطلنطي حتى ليفربول ، لكن حينئذٍ مساوياً في الطول لاطول الطرق البرية وهو خط سيبريا الحديدي . ان عظمة هذا الخط العظيم لاتقف عند طوله فحسب ، فان القسم الاعظم منه هو خط مزدوج .

ومن الواضح لاول وهلة ، ان شحن البضائع على طول هـذا الخط يشمل صعوبات اقتصادية عظيمة ، فان البضائع الثقيلة الوزن لايناسب شحنها على الخطوط الحديدية كما هو واضح في كندا ، فان القمح مثلا يشحن كما هو معلوم بواسطة الطرق المائية ، ويندر ان يشحن مدّ قمح في الخط الحديدي الى منتريال او هاليفكس في كندا ، اذ بدل ذلك تدخل بورت ارثر او فورت وليم ومن هناك تشحن بالسفن ، من اجل ذلك فان البضائع التي تشحن على طول الخط الحديدي في سيبريا هي من نوع البضائع الخفيفة الوزن الغالية الثمن ، فان بعض الحرير الخام الياباني ، او الشاي الصيني ، الذي يروق للروس قد يمكن شحنه وتحمل نفقاته الباهظة ، ولكن لانغالي اذا قلنا ان القسم الاعظم من هذه البضائع الثمينة تشحن ايضاً عن الطريق البحري اي المحيط الاطلنطي ، فالبحر المتوسط ، وتنزل في اوديسا اوريغا .

على ان هذا الخط الحديدي يجذب بالاكثر المسافرين ، لان التاجر في هـذه الايام يعتقد ان الوقت هو من ذهب ، فالاوروبي الذي ينتدب الى عمل سياسي في الشرق ، او لذي يذهب لتفتيش معامله في الصين او اليابان ، او العالم الذي يذهب لدرس الجنس الاصفر ، او المبشر الذي

يذهب لينشر تعاليم دينه ، كل هؤلاء يفضلون السفر على هـذا الخط ، ولو طالت مدة السفر عشرة ايام او اثنى عشر يوماً ، وكانت مملة ومتعبة للاعصاب ، الا انه بذلك يقتصد اسبوعاً في الوقت فيما لو اختار الطريق البري ، دع عنك ان الطريق البري اقل ازعاجاً وقلقاً من الحر القتال ، والشمس الوهاجة والسماء النحاسي في البحر المتوسط والبحرين الاحمر والعربي .

ولتقدير قيمة هـذا الخط الحديدي دعنا نعتبره امؤلفا من قسمين ، يبتدئان من (ار كوتسك) قرب بحيرة بيكل ، فيسير احدهما غرباً مخترقاً بلاداً زراعيـة غنية بالمواشي ، وينقل الحبوب ، والكتان ، والجلود ، واللحوم ، والجبن وما اشبه مما يذهب بالاكثر غذاء لمئة وخمسين مليوناً من الروس والقسم الآخر يصدر فيدفع ثمناً للآلات الجديديـة المستوردة والتي اخذت تتزايد لتأسيس معامل اخذت تنشأ في البلاد ، وهكذا تنشط البلاد لتطبيق (نظام الخمس سنوات) بحماسة جنونيـة وتتحول الامة الى امة صناعيـة ، اما الطريق الآخر فيبتدي من (اركوتسك) ويجري شرقاً في جبال قاسية جبلية ، تنشأ فيها المزارع في الوديان الضيقـة ، وتنتج الارض المعادن الغنية ، والاخشاب ، وفراء الحيوانات البرية ، وجميع هذه تشحن الى شاطئ المحيط الهادي الى (فلاديفستك) على بحر اليابان ، او جنوبا الى (خر بين) فتسير على خط منشوريا الحديدي الجنوبي الشهير الى (دارين) وهي الميناء العظيم الذي

لايفضله في جميع مواني الصين غير شانغاي ٠

ان خط سيبريا الرئيسي ينتهي في غرب مدينـة بتروغراد ، وهذا يسير شرقاً مخترقاً سهول روسيا ، ماراً بمسكو ، و كازان ، ثم يخترق جبال الاورال في اوروبا الى آسيا في (شيليبنسك) وهي المدينـة التي شاهدت هجرة اكثر من ثمانيـة ملايين من المهاجرين شرقاً في مدة النصف القرن الاخير ٠ و كثير من هؤلاء كانوا من المجرمين والاشقياء الذين نفوا الى اقاصي سيبريا الخاليـة ٠ وقليـل منهم كانوا من المنفيين السياسيين ، وهم من نخبـة الروس الذين نشأوا في روسيـا المتأخرة ، والذين قذفت بهم الى ظـلام سيبريا ، حكومة مستبدة اوتوقراطيـة ظالمة ٠ ولا تزال تجد هاتين الطبقتين تمران في ظلام الليل بعدد غير متناقص على جسر التنهدات في مدينة (شيليبنسك) ، ومن المنفيين مؤخراً الذين افادوا سيبريا جماعات من المتدينين هجروا بلادهم بدافع وجدانهم واختاروا هـذه البراري مسكناً لهم ليبتعدوا عن تأثير الموظفين السياسيين ٠ ولقد اظهر هؤلاء مهارة ، وصبراً وجلداً فاسسوا القرى والدساكر فنمت وترعرعت ٠ اما القسم الاعظم من المهاجرين فأشبه بالمهاجرين الى سهول كندا ، وهم من الفلاحين الروس الاقوياء الشبان الذين هجروا الى البلاد طلباً للرزق والغنى ٠

ويمر الخط من (شيبلينسك) التي هي اشبه برأس القنينة بالنسبة الى سيبريا ، في اطول ، واعظم سهل في العالم ، وهذا السهل يضيق اخيراً قرب

الجبال التي تحد اركتسك من الجهتين .

وعلى طول هذا الخط لايوجد سوى بعض خطوط جانبية وانما هناك خط من هذه هو على غاية من الاهمية لانه يقطع بعض اجزاء من قارة آسيا هي اعظم الاقطار قدماً وانفراداً وتأخراً ، يسكنها قوم مضى عليهم مئات الاجيال وهم يعيشون كأنهم يعيشون في غير هذه الدنيا. هذا الفرع ، ينفصل عن الخط الحديدي العام في نقطة تقع جنوبي (تمسك) الى الشرق ، ثم يسير جنوباً لشرق في بلاد جافة ، تزداد جفافاً كلما اخترقها الخط ، ثم يقترب من نجد آسيا الوسطى الذي يرتفع كثيراً وتكسوه الثلوج على مدار السنة . وهذا النجد هو المصدر الرئيسي لجميع الانهار العظيمة التي تنساب في سهل سيبريا العظيم في الصحراء المحرقة القاحلة التي تقع تحت هذا النجد العظيم . وهناك وديان خضراء تروى من مياه الثلوج الذائبة من رؤوس الجبال ، وهنا تقع سهول روسيا العظيمة التي يزرع القطن فيها ، وقد اخذ الانتاج يزداد ازدياداً عظيماً ، حتى اصبحت روسيا تضاهي الهند والصين بأنّ لها المنزلة الثانية في انتاج القطن في العالم .

وتنتج هذه المنطقة الحرير ، والسجاد ، وبزر الكتان ، والارز وغير ذلك من منتوجات المناطق الحارة ، ولهذه جميعها المنزلة الاولى في الاهمية لانها تجعل روسيا اعظم بلدان العالم في تنوع مصادر ثروتها ، وفي اعتمادها على نفسها . وهذا الخط الحديدي يقرب مناطق عظيمة فيها معدن

الحديد ، الى مناطق فيهامعدن الفحم لايبتعد بعضهـا عن بعض اكثر من ثلاثين الى اربعين ميلا وبهذا تساعد على حل صعوبات روسيا الصناعيـة المدنية .

وهذا القسم من الخط الحديدي يجتـاز بلاداً سوداء التربة منتجة كسهول كندا ، وقد اصبح القسم الغربي منها مصدراً عظيماً لزراعة القمح ، والذرة ، والشعير ، وتوسعت فيها صناعـة الالبان التي تدار على اساليب علمية ، واصول منظمة ، حتى اصبحت زبدة سيبريا ، والجبن الى حد معلوم ، تضاهي ماتصدره بلاد الدانمرك وزيلانده الجديده وتزاحمها في الاسواق الانكليزية . والى جنوبي الخط تختفي خضرة السهول المروية ، رويداً رويداً الى صحراء قاحلة وتظهر زرائب الحيوانات بدل المزارع ، وترى المواشي بدل الابقار ، واذا توجهت جنوباً تصادف الماعز والجمل ، والحصان وقبائل رحلا تنتقل من مكان لآخر مفتشة عن كلأ في تلك البلاد الجرداء .

اما على شمالي الخط الحديدي فتبدو لك المروج الخضراء ، فاذاتوجهت شمالاً اصبحت التربة اكثر رطوبة والمناخ اكثر برودة ، فتظهر الاشجار التي تكسو جميع القسم الشمالي من سيبريا في منطقة من الاحراج تمتد ستة آلاف من الاميـال طولاً واكثر من الف ميل عرضاً . وانك لتشعر في هذه الاحراج بما فيها من الروعة والخشوع على نحو مايحدث لك اذا كنت في بيت من بيوت العبادة ، وقد تسير اياماً واسابيع بل اشهراً على

بساط من خضرة في وسط احراج لانهايــة لها فلا تجد انساناً ، اللهم الا بعض الصيادين الذين ينصبون فخاخهم لاصطياد الحيوانات ، ولا تعمل الفأس في هذه الاحراج مع ان الحرائق قد تركت بعض الاثر هنا وهنالك • هذه المنطقة الغنيــة بالاخشاب والتي لامثيل لهـا ، والتي تغطي منطقة تكاد تبلغ مساحتها مساحة كندا ، هي مورد عظيم للمستقبل ، ولا بد ان يزداد السكان بسببها على طول الخط الحديدي اذ تكون مصدراً لاينضب معينه للاخشاب لسهول روسيا الجرداء •

ولقد كانت هذه الاحراج من القديم اعظم مصدر في العالم للفراء • فملايين من جلود السنجاب ، والفراء البيضاء ، التي يتباهى بلبسها الملوك والامراء ، وغير ذلك من فراء الحيوانات كالثعالب والذئاب والارانب والحيوانات القطبية ، جميع هذه قدقدمت للعالم افخر انواع الفراء ، وتصدر من هذه البلاد التي هي اشد بلاد العالم برودة ، شرقاً وغرباً على هذا الخط الحديدي •

ان نجاح الخط الرئيسي يتوقف على الخطوط الجانبية وعلى ما تستطيع ان تشحنه من البضائع • فان المستعمرات منتشرة على مسافة مئات الاميال على جهتي الخط وليس لهذه خطوط جانبية غير الخط الذي نوهنا عنه والذي يمتد جنوباً • وان فقدان وسائل النقل الاضافية هي من اعظم مايؤخر تقدم سيبريا • فان اكثر الطرق يتعسر اجتيازها ، لانها عبارة عن وحول سببها الثلج المذاب او شتاء الخريف اما في الصيف فيمكن

استعمالها الا ان العجلات قد تغرز فيها من كثرة الغبار .

على ان فصل الشتاء هو الفصل الذي تنقل فيه الحنطة ، إذ تجمد الطرق من جراء البرد الشديد ويغطيها الثلج فيصبح السهل جميعه عبارة عن طريق ، ويستفاد كثيراً من الانهر المتجمدة . وتسير قوافل الجمال والخيول والحمير قادمة من الجنوب حاملة قطناً وحريراً وسجاجيد وجلوداً وصوفاً وكتاناً على ظهورها في الصيف او على الزلاقات في الشتاء .

ان انهر روسيا العظيمة تغذي هذا الخط من الشمال والجنوب . فنهر (الاب) (والينيسي) و (اللينا) تنبع من النجد المتوسط العالي يرويها الثلج والثلاجات ، وبعد ان تنحدر مرغية مزبدة في انحدارات مظلمة تخرج عريضة هادئة مخترقة سهل سيبريا العظيم . فتبتدئ في سيرها البطيء الى ان تصل الى الاوقيانوس القطبي . وفي الامكان ان يسير المرء مع هذه الانهر في قوارب عظيمة يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة ، مئات الاميال مخترقاً في بادئ الامر سهولا مستوية خضراء ثم احراجاً مظلمة من اشجار الصنوبر وفي كل يوم يبتعد المرء عن مسكن الانسان ويقرب من منطقة التندرا والجليد الدائم . وتنبع عشرات من الانهر التي لااسم لها من هذه الاحراج فتفرغ مياهها العكرة في هذه الانهار العظيمة . وهذه الانهار مع تفرعاتها من الشمال والجنوب هي واسطة النقل التي تحمل فوقها الفراء ، والاخشاب

والمحصولات والالبان والمعادن الى خط سيبريا الحديدي العظيم . ومتى تغلب الانسان على هذا القسم الغربي من سيبريا فان منتوجات هذه المنطقة العظيمة ستدهش العقل الانساني .

اما القسم الشرقي من هذا الخط العظيم فيخترق بلاداً جبلية وعرة . مثال ذلك ان هذا الخط جنوبي بحيرة بيكل يمر عن عشرين نفقاً ، ومقاطع الصخور كثيرة العدد وترتفع الطريق هنا بحيث يثقل حمل القطار . وعندما يدخل الخط منشوريا يسمى الخط الصيني الشرقي ، ومع ان روسيا هي التي تسيطر عليه بالاكثر ، فقد بني باموال صينية وروسية . وينتهي هذا في فلادفستك وهي ميناء روسيا الشتوي الوحيد على المحيط الهادي . وهذا الميناء يجمد مدة ثلاثة اشهر في السنة ولكنه يظل مفتوحاً بواسطة آلات تكسر الجليد ويتفرع من هذا الخط الصيني الشرقي في (خربين) خط يسير شمالا لجنوب وينتهي في ميناء (دايرن) العظيم ، وتسيطر اليابان على هذا القسم الجنوبي من هذا الخط فهي التي بنت فرعاً منه يمتد الى كوريا . وهذا الخط يرتبط ايضاً بخطوط الصين الرئيسية ، وهكذا فان منفذ الصين البري لتصدير منتوجاتها الى اوروبا هو خط سيبريا الحديدي .

وقد بنت روسيا خطاً آخر يقع ضمن اراضي روسية . فهذا يسير شمال منشوريا في محاذاة نهر (امور) ويسير جنوبا الى فلادفستك . وبما ان هذا الخط يسير في بلاد وعرة قليلة السكان كان القصد من

انشائه حربياً لا اقتصادياً . ومع هذا فهو يسهل الوصول الى مصايد اسماك (السلمون) العظيمة على شاطئ المحيط الهادي وقد اخذت تزداد هذه زيادة كبرى ، واصبح (السلمون) الروسي الآن ينافس (السلمون) الكندي في اسواق اوروبا .

وهناك وديان تقع على الخط الشرقي تزرع فيها الحنطة والشعير وغير ذلك . اما القسم الاعظم من الخط الشرقي فيسير في بلاد كلها احراج وهذه تؤلف اهم الصادرات عن طريق « فلادفستك » اما الفرع الجنوبي فهو يخترق سهولا من اخصب سهول الصين ، وقد اصبحت هذه بفضل اليابان من اعظم المناطق الصينية انتاجاً . ولقد امّ هذه البلاد ما يزيد على عشرين مليوناً من الفلاحين من الصين و كوريا لزراعة القمح والحنطة والشوفان والسمسم وخصوصا (Soyabean) (١) الذي هو من اعظم مصادر الثروة في هذه المنطقة ، ومناجم الفحم والحديد هنا من اعظم المناجم ثروة في هذا القسم الشرقي . وجميع هذه تؤلف صادرات عظيمة تمر عن ميناء (داير ن)

وربما كان اهم اثر جغرافي لخط سيبريا الحديدي هو انه جذب ملايين من المهاجرين من روسيا الغربية ، ومن الصين من جهة الشرق فقطنوا في سيبريا الغربية وفي منشوريا ، فهو بهذا كخط كندا العظيم . وان سيل المهاجرين الذي تدفق بهم هذا الخط في اواخر القرن الماضي لم ينقطع بعد ، ويظهر اننا سنرى في هذا القرن سيبريا جديدة تفيض بالسكان .

(١) نبات يعمل من دقيقه خبز ينمو في الصين واليابان

الاختبارات المقدرة (١)

لقد حاول الناس منذ القديم ان يقدروا بطرق مختلفة النتائج العقلية والتربوية في الطلاب، ولكن حتى ظهور الاختبارات المقدرة، لم يكن القياس في هذه الناحية يقرب من الطرق العلمية الصحيحة . ان القياس العلمي هو من ابرز مظاهر التقدم في معالجة المسائل التربوية .

ان حركة الاختبار هذه قد اعترتها عقبات شديدة اثناء تقدمها، وانتقدت انتقاداً مراً . وكان بعض ماانتقدت به على جانب من الصحة، ولكن قسماً كبيراً منه لم يكن يستند الى اسس علمية بل كان يمثل عدم فهم الحقائق كما هي . ومن اجل ذلك تضررت حركة الاختبارات في مبدإ امرها لاندفاع مريديها ومنتقديها لدرجة الغلو . ومما زاد في الطين بلة ان الذين استعملوا هذه الاختبارات لم يكونوا اهلاً لان يطبقوها او يفسروا نتائجها . فكان من نتيجة ذلك ان لم تتمم هذه الاختبارات بعض الغايات التي ترمي اليها . على ان هذه العقبات لم تكن ملازمة الاختبارات ذاتها، فان الزمن والاختبار قد كان لهما الشأن الاول في تصحيح عملها، ويمكن القول الآن ان هذه الاختبارات اجتازت دور التجربة والشك واصبح لها مستقبل مضمون . فالاختبارات المقدرة

---

(١) اي التي قيست بغيرها وجعل لها مقدار معين محدود

ستظل وسيعمل بها وبنتائجها . اذ ان هذه الاختبارات هي اقرب وسيلة نملكها للاسلوب العلمي في قياس القوى الذهنية ، والمدرسية ، وهي تأتي بفوائد عظيمة اذا احسن استعمالها وتطبيقها . ان مثل هذه الاداة الثمينة لايمكن اهمالها اهمالا تاماً .

والغاية من هذا المقال ان نطلع قراء المجلة على لمحة عامة عن عملية القياس هذه ، بان نبين لهم بعض المبادىء الاساسية فيها ونفسر ونحدد بعض الاصطلاحات الفنية بحيث يتضح للقارىء معناها .

اختبارات الذكاء ، والمقدرة في الدروس

لسنا بحاجة ان نبحث هنا في اكثر من نوعين من الاختبارات ، الاول اختبارات الذكاء والثاني اختبارات المقدرة في الدروس . فاختبارات الذكاء او الاختبارات العقلية يقصد منها قياس المقدرة العقلية في الفرد . ولقد اختلف الناس في تعريف الذكاء ، ولكننا نعرف معنى الذكاء وشيئاً عنه كما يتمثل امامنا في الصفوف . ولقدنفكر في الذكاء بالنسبة الى المدرسة فنعتبره مرادفاً لقابلية التعلم . ومن الصعب جداً ان نقيس مباشرة هذه المقدرة على التعلم . ان الاختبارات العقلية تمكننا ان نستنتج شيئاً عن مقدرة الطالب على التعلم من المعلومات التي قد تعلمها . ولكي تصير هذه الاختبارات عادلة لاطفال جاءوا من بيئات مختلفة ، كان من الضروري ان تبنى بقدر الامكان ، على نتائج التعلم

التي يتساوى الجميع في امكان الحصول عليها . والاختبارات الفردية يمكن تطبيقها على فرد واحد في المرة الواحدة، اما اختبار الجماعات فيمكن تطبيقه على جماعة او صف او اكثر .

ومع ان الاولى اصح في قياسها للمقدرة ، فانها تستلزم وقتاً طويلاً يتعذر ايجاده في اي مدرسة . واذن فمعلم الصف انما يهتم باختبار الجماعة .

اما اختبار مقدرة الطلاب في الدروس فالغرض منه قياس تقدم الطلاب في مباحث منهج التدريس المختلفة . فاذا كان القصد منه قياس المقدرة العامة في موضوع من المواضيع، عرف هذا باختبار المقدرة العامة في الدروس . اما اذا كان المقصد منه اكتشاف ضعف الطلاب او قوتهم فيعرف حينئذٍ باختبار تشخيص المقدرة في الدروس وقليلة هي الاختبارات التي ترمي الى احدى هاتين الغايتين . بل اكثرها ترمي بدرجات مختلفة الى قياس المقدرة العامة او تشخيص الضعف او القوة في الدروس في الطالب .

الاختبارات المقدّرة

هي التي قيست بغيرها ووضع لها مقياس ثابت وهي منطبقة على الحالات الآتية :

(١) ان مواد هذه الاختبارات قد اختيرت باهتمام بحيث تتم الغاية التي من اجلها وضع الاختبار .

(٢) تعطى مع الاختبار تعليمات صريحة لادارة هذه الاختبارات

وتقدير اجوبة المختبرين . وهذه التعليمات مفصلة وواضحة بحيث اذا انتبه الذي يطبقها يضمن ان تدار هذه الاختبارات وتقدر نتيجتها كما اراد لها واضعها .

(٣) ان هذه الاختبارات ظاهرية محسوسة ، فاجوبتها بسيطة ويمكن قياسها بسهولة ، وطريقة القياس سهلة مضبوطة بحيث ان الذي يصلحها لا يحتاج ان يرجع الى قوة التحكيم الذاتية فيه لتقدير قيمة الاجوبة

(٤) يعطى مع هذه الاختبارات قائمة من (الاوساط) جمع وسط والمعدلات لتسهيل فهم نتائجها . والوسط هو كالمعدل ويعطى عادة نوعان من الوسط ، وهما الوسط بالنسبة الى السن ، والوسط بالنسبة الى الصف ، فالوسط لسن ما مثلاً هو معدل الاجوبة الذي ينتظر ان يحصل عليه الطلاب من اسنان مختلفة والوسط لصف من الصفوف هو المعدل الذي ينتظر ان يحصل عليه الطالب من صف من الصفوف . فاذا قابلت نتيجة عمل طالب في هذه الاختبارات بآخر امكنك ان تحكم الى اية درجة يعلو او يتأخر ذلك الطالب عن الطلاب الذين يشتركون معه في صفه او سنه . واختبارات الذكاء المقدَّرة تعطى معها دائماً اوساط الاعمار المختلفة ، اما الاختبارات المقدرة في الدروس فقد يعطى لها اوساط السن ، او الصف او كلاهما

السن الفزيولوجية والسن العقلية والسن التعليمية

ان الاختبارات المقدَّرة تشمل استعمال ثلاث اسنان رئيسية ، السن

الفيزيولوجية ويرمز اليها بـ (س ف)، والسن العقلية ويرمز اليها بـ (س ع) والسن التعليمية ويرمز اليها بـ (س ت).

اما السن الفيزيولوجية فلا حاجة لتعريفها، فهي التي تمثل عمر الطفل بالسنين والاشهر.

واما السن العقلية فهي المقدرة العقلية لطفل ما معبراً عنها بالسن الفيزيولوجية لمتوسط الطفل الذي يملك ذات المقدرة، فاذا كان ذكاء طفل ما مساوياً لمعدل طفل من سن عشر سنوات كانت سنه العقلية عشرة، فاذا كان اشد ذكاءً من المعدل، كانت سنه العقلية اعظم من السن الفيزيولوجية.

اما السن التعليمية فهي مشابهة للسن العقلية غير اننا بدلاً من ان نشير الى المقدرة العقلية المجردة، نشير الى المقدرة التعليمية في دروس منهج المدرسة فحسب، وبالاضافة الى سنه التعليمية العامة فقد نتكلم عن سن الطالب في المباحث المختلفة كأن نقول سنه في القراءة، او التهجي، او الحساب الخ كذا وكذا. افاذا كان عمله في اختبار الحساب يدل على ان مقدرته في الحساب هي مساوية لمتوسط الطلاب الذين سنهم تسع سنوات وخمسة اشهر قلنا حينئذٍ ان سنه الحسابية، تسع سنوات وخمسة اشهر، وهكذا فقد نتوصل الى تحديد اعمار الطلاب في جميع المواضيع المدرسية التي لها اختبارات مقدّرة، وسن الوسط فيها معلوم، واصطلاحاً نرى ان السن التعليمية هي حاصلة من جميع اسنان الدروس المختلفة وقد تكون

هذه معدلاً عاماً لجميع هذه المواضيع ، الا انه ليس مايمنع ان نقدر المباحث المختلفة تقديراً مختلفاً في القيمة عندما نجمع المعدل النهائي ، وكثير من المعلمين يرجحون ان تقدّر قيمة القراءة اكثر من التهجي عندما يقدرون مقدرة الطالب التعليمية العامة .

ان مقابلة هذه الاسنان الثلاث المعطاة تعطينا ثلاثة خوارج وهي خارج الذكاء (خ ذ) وخارج التعليم (خ ت) وخارج الاكتساب العلمي ويرمز اليه ب (خ ا)

اما خارج الذكاء فهو نسبة السن العقلية للسن الفيزيولوجية معبراً عنها بنسبة مئوية وذلك ان تقسم السن العقلية على السن الفيزيولوجية وتضرب ذلك بمئة ، فاذا كانت سن الطالب العقلية تسعة والفيزيولوجية سبعة ونصف كان خارج ذكائه ١٢٠ ، وخارج الذكاء هو مقياس ذكاء الطفل ويظل هذا تقريباً ثابتاً طول مدة نموه ، وتختلف خوارج ذكاء الاطفال من صفر الى ٢٠٠ موزعة بحيث تكون المئة هي المعدل ، ويقال بالتقريب ان نصف الاطفال يبلغ خارج ذكائهم بين (٩٣) و (١٠٧) وواحد بالمائة منهم دون السبعين او فوق المئة والثلاثين ، ومع انه لاتوجد هوات في توزيع الخوارج ، الا ان عدد ٧٠ قد اعتبر الحد الفارق بين الطلاب المتأخرين عقلاً والضعاف العقل .

اما خارج التعليم فهو نسبة السن التعليمية الى الفيزيولوجية ، معبراً عنه بالنسبة المئوية ، فهو قياس مقدرة الطالب المدرسية معبراً عنها باعتبار سنه

فاذا كان (خ ت) فوق ١٠٠ فمعنى ذلك انه يفوق متوسط طلاب سنه في المقدرة المدرسية ، واذا كان دون المئة فهو متأخر وما قيل عن خارج الذكاء (خ ذ) ، يصح على (خ ت) من ان خارج التعليم هذا موزع باعتبار ان المعدل هو مئة ، ولهذا فخارج تعليم الطفل لا ينتظر ان يظل تقريباً على ماهو كما هي الحالة مع خارج الذكاء . لان خارج ذكائه يتقرر بالاكثر من مقدرته الموروثة ، وهذه محددة من زمن الولادة في حين ان (خ ت) يتغير تبعاً لتغير الرغبة والجهود وغير ذلك من الوف العوامل والتأثيرات التي ينتظر ان تؤثر في الحياة المدرسية وفي تقدم الطلاب التعليمي .

اما خارج الاكتساب العلمي فهو نسبة السن التعليمية الى السن العقلية معبراً عنها بنسبة مئوية ، وقد ننظر اليه بانه النسبة بين خارج التعليم ، وخارج الذكاء ، وهو قياس لاكتساب الطالب العلمي معبراً عنه بمقدرته العقلية .

وكما مر معنا في الخارجين المذكورين ، فان خارج الاكتساب العلمي يتمركز حول ١٠٠ ، فاذا اكتسب الطالب اكثر من الوجهة العلمية ، من متوسط الطلاب من ذات المقدرة العقلية ، فيكون خارج اكتسابه اكثر من ١٠٠ ، في حين انه اذا كان العمل دون مستوى معدل الطلاب كان خارج اكتسابه (خ ا) اقل من مئة ، ولقد قال بعض العلماء بعدم

الامكان على الاعتماد على خارج الاكتساب هذا ولهذا لايوافقون على استعماله ·

واليك المعادلات الآتية تلخيصاً للبحث الذي مر :

خارج الذكاء = السن العقلية ÷ السن الفيزيولوجية

خارج التعليم = السن التعليمية ÷ السن الفيزيولوجية

خارج الاكتساب = السن التعليمية ÷ السن العقلية × ١٠٠ (او)

خارج الاكتساب = خارج التعليم ÷ خارج الذكاء × ١٠٠

الحوادث العالمية الحاضرة

كيف ندرسها ؟

لم يمر على المعلم وقت لتدريس الحوادث العالميـة الحـاضرة كهذا الزمن الذي امتلأ بالحوادث العظام التي تثير استغراب الطلاب ، فغاندي والهند ، والانتخابات البريطانيـة وهتلر في المانيا ، والمشكلـة الصينية اليابانية ، والازمة العالمية جميع هذه وغيرها من مئات الحوادث العظام تثير رغبة الطلاب وتحرك فيهم روح البحث وتروي فيهم الدهشة · ولكي يحصل المعلم على النتائج الفضلى عليه ان ينظم صفه بحيث يتمكن كل

فرد من الاشتراك في البحث ، وليس من الضروري لجميع الصف ان يبحث في مسألة واحدة ولا ان يرغبوا في حادثة واحدة . ومن الضروري ان يكون بيد كل طالب دفتر يدون فيه الحوادث ، ويستحق ان يكون الدفتر مجلداً تجليداً متيناً فان مثل هذا الدفتر يحفظ بين دفتيه افضل مايقوم به الطلاب ، واقله . ولا يستطيع الطالب ان ينزع من مثل هذا الدفتر ورقة دون ان يبقي اثراً ويصعب عليه الصاق ورقة جديدة مكانها . وهكذا فاذا كان عمل الطالب متوسطاً تسجل عليه ذلك ، وكان شاهداً على ضعف عمله وباعثاً على تحسينه ، ومثل هذا الدفتر المتين يمكن الطالب ان يرى فيه مقدار نجاحه في عمله شهراً بعد شهر .

ويجب ان يكون الدفتر ، خاصاً بالطالب ، وان تترك له الحرية التامة لاختيار مباحثه وتدوين مايراه مناسباً منها . وعلى المعلم ان يراقب هذه الدفاتر من اسبوع لآخر ، ويبين للطلاب عند مايحسنون الاختيار ، ويسيرون على اساليب صحيحة في البحث . وقد يشير احياناً الى الابحاث التي لا كبير قيمة لها والى بعض الصفحات التي لم يحسن الطالب ترتيبها وتبويبها . ولا ريب ان مثل هذه الاشارة من العمل تثير روح البحث في الطلاب ، فقد يشترك جميع افراد الصف في البحث ذاته .

ويستحسن ان يشجع الطلاب على اختيار بعض قصاصات الجرائد والمجلات وتاصيقها بشكل يناسب هذه الدفاتر .

ومن المستحسن ايضاً اختيار الصور ، او الخرائط ، او غير ذلك من

وسائل الايضاح ، او قطعة مقتبسة . ويشجع الطلاب ان يشيروا بخط تحت الكلمات او الجمل او العبارات المطبوعة التي انتخبوها ثم يضيفوا الى ذلك ما يعن لهم من الملحوظات بخط يدهم . وقد يضيف الطالب الى ذلك بان يرسم هو بنفسه رسوماً توضح ما اختاره من الحوادث .

وقد ترى كثيرين من الطلاب يستعملون قصاصات اكثر من اللزوم ، ويكثرون من اختيار الحوادث ، ويشيرون بخط الى كلمات كثيرة . وفي مثل هذه الحالة يجب تشجيعهم والثناء عليهم اذا اظهروا صحة في الحكم وحسن الذوق والاختيار ، وقاموا بعمل مناسب وعبروا عن الفكر المطلوب تعبيراً واضحاً ، ولا يمر وقت طويل حتى تتربى في الطلاب روح التميز فيصبحون يرون الفرق بين الحوادث البسيطة ، والحوادث الجسام .

وينتظر من كل طالب ان يختار بعض قصاصات في كل اسبوع ، وان يشير تحت بعض الكلمات وان يكتب شيئاً عنها . فالاستمرار على مدح العمل الجيد دون المبالغة ، وتثبيط العمل السيء من آن لآخر ، يشجع الطلاب على ان يتفوقوا في العمل . اذ ان الفرصة سانحة للطالب الذي يرغب في ان يتفوق .

وبما ان حصة التدريس تأتي كل اسبوع ويكفي حصة واحدة لكل اسبوع فقد يحسن المعلم صنعاً ان فتش بعض هذه الدفاتر ليرى بنفسه ما يقوم بعمله الطلاب . ويجب ان ينفق القسم الاعظم من كل

حصة في البحث العام . وفي اكثر الاحيان تجد ان اسئلة الطلاب وملاحظاتهم تستوعب اعظم الوقت ، فلهذا كان من الضروري ان يقف المعلم موقف الدليل الصديق . وقد تجد عادة ان الطلاب يجيبون اسئلة بعضهم بعضاً وقد يظهرون رغبة في التفتيش عن الاجوبة المطلوبة في الدرس القادم ، وقلما يعتمدون على المعلم . على ان المعلم يستطيع ان يأتي من عنده ببعض الحقائق اللاذة او يشير بملاحظة او ما اشبه ، فتزداد رغبة الطلاب .

وليس من المعتاد ولا هو من المرغوب فيه ان يترك الطلاب احراراً في الاستفادة من وقتهم في مبتدإ حصة التدريس ، ولكن لذلك مبرر في تدريس الحوادث العالمية الحالية كما بينا . لان الطالب اعطي اعظم درجة من الحرية ، وفي هذه الدقائق الاولى يجهز المعلم نفسه بالمواد الكافية فيتأكد ان باقي الحصة سيستفاد منها وقد يلاحظ من الدفاتر التي يفحصها بعض الحقائق التي تستدعي ان يوجه اليها انظار جميع الصف او قد يلاحظ وجود موضوع يستحق البحث ، فاذا لم يمكن البحث في الموضوع حالاً فمن واجباته ان يرى كيف يمكن تسهيل البحث فيه للمرة القادمة او قد يرى هناك بعض الاغلاط والتشويه في الحقائق مما لا يجوز السكوت عنه . ولكي يتيسر ان يحصل الطلاب على اقصى درجة من الحرية من يستحسن ان يظل المعلم عالماً بعمل الطلاب لاسيما الكسالى منهم . ولهذا فمبتدأ الدرس يسهل عليه عمله . ويجب ان يعرف الطلاب جيداً كيف يستفيدون من هذه الدقائق الاولى .

ومن الواضح ان هذا الاسلوب في تدريس الحوادث العالمية الحالية ليس سهلاً على المعلم • اذ يجب أن يكون ابداً منتبهاً الى كل حادثة مهمة • فالطلاب الاذكياء يستمرون في التعرض للمواضيع الصعبة، وينتظرون من المعلم ان يساعدهم في حل مسائلهم • لكن هذا هو السر في غرابة هذا الاسلوب وجذّابيته .

لقد قلنا في مستهل" هذا المقال ان بعض سنوات كافية لتجهيز الطلاب بمواد جذابة مرغبة • وقليل من الدروس الاخرى تسهل للمعلم ان يراقب تقدم طلابه • اذ بواسطة هذا الدرس يستطيع الطالب ان يتعرف الى كثير من بلدان العالم فيتعرف على الشخصيات البارزة والحوادث الجسام معرفة قريبة ، وقد تحدث لهم الفرص ليتصلوا بهذه الشخصيات وتلك الحوادث فيشعرون بالقوة من نتيجة هذا الاتصال وتنمو شخصياتهم وهكذا يشعرون انهم هم سادة انفسهم ، فيستفيدون لاتصالهم بغيرهم وتعاونهم معهم ، ويسرون ويلتذون من الدهشة التي تعرو المرء عندما يقوم بعمل حقيقي •

الاسلوب العلمي في المدارس

(١) كيف نعود الطلاب التفكير الصحيح ؟

(٢) امثلة عامة مع، الاهتمام بدرسي التاريخ والجغرافيا

يظهر للمدرس اليقظ ان معظم الطلاب لايستطيعون ان يفكروا تفكيراً صحيحاً عند مواجهة المسائل الخارجة عن دروسهم . والسبب في ذلك عدم تمرينهم على حل المسائل اعتماداً على معلوماتهم المكتسبة من المدرسة واعتماداً على خبرتهم التي جاءت من استعمال حكمتهم ، مع ان التمرين على تلك الطريقة مفيد جداً تنشأ عنه ملكة عند الطالب تمكنه من ابداء رأي وجيه او الوصول الى حكم صحيح . ولهذا يجب ان يتعود الطلاب التدقيق والمنطق في قبول الرأي او ابدائه . ولا سبيل الى ذلك إلا بتدريبهم منذ نعومة اظفارهم ، فينشأ الواحد وله شيء من « الاسلوب العلمي » في البحث والفهم . والغرض من هذه المقالة اقتراح استعمال هذا الاسلوب . فارجو من المدرسين ان يعيروا النقاط التالية جانب اهتمامهم وان يجربوا تطبيق بعضها او كلها او ما شابهها على مختلف الصفوف من تمهيدية ودنيا وعليا .

يكتفي كثيرون بمعرفة ضئيلة يلتقطونها من الصحف اليومية او بعض المجلات التجارية ، فتجد الواحد منهم يتكلم بكل شيء وهو لايعرف

شيئاً معرفة دقيقة واضحة ، فاذا دعت الحال ان يتكلم جاء بشيء غير محدود ، لا رابطة بين اجزائه ، ولا منطق فيه . ولا غرابة فالمعرفة القليلة خطر واي خطر . ولكن المعرفة « الفجة » أشد خطراً فهي التي لم يتوصل اليها صاحبها عن فكر او عن درس وانما «تلبّسها» دون ان تصبح جزءاً من كيانه . فعلى المدرس — المدرس النشيط — مسؤولية كبرى وهي ان يعد نفسه لمنفعة طلابه خير اعداد ، فعليه ان يفهم درسه بوضوح وبطريقة منطقية ، وعليه ان يوصل ذلك الى الطلاب ، وان يترك مجالاً واسعاً لتنمية روح البحث والاستفهام عندهم .

وليذكر المدرس ان تنمية « عقلية علمية » امر يكاد يكون خـــارجاً عن منهج الدراسة . فهي لا تتوقف على الدروس نفسها كما تتوقف على طريقـــة تعليم تلك الدروس . ويمكن استخدام جميع الدروس من علمية وادبية للوصول الى انماء « عقلية علمية » في الطلاب . وكل درس يجب ان يكون له ما يساعد على الوصول الى ذلك المطلب .

والأمر الرئيسي هو ان يتطلب المدرس من الطلاب السير في تفكيرهم على طريقة « الدرجات » الواحدة بعد الاخرى ، وتكون الثانية نتيجة عن الاولى ، والافضل ان لا يسمح للطالب ان « يقفز » عن واحدة او اثنتين ، ولو كان ذلك دون مساعدة من المدرس . اذ يحسن ان يسير الطالب المبتدئ بحل المسألة سيراً طبيعياً منظماً . ولنأخذ الآن بعض الامثلة التي توضح ما سبق .

لنفرض ان امامنا هذا السؤال لنجيب عنه ٠ ما العوامل التي تؤثر في المدن الكبيرة ؟

فاول الدرجات ان نجمع المعلومات على قدر ما تسمح لنا به حالة الصف ومستوى الطلاب ٠ ولكننا نجد ان تلك الحالة وهذا المستوى لا يسمحان الا بجمع معلومات قليلة عن عدد محدود من المدن ٠ فنضطر الى الاحتياط فنقول ان النتيجة التي سنحصل عليها ستكون حتماً «كتجربة» ٠

وثاني الدرجات ان نأخذ بدرس مواقع تلك المدن بواسطة الكتب والصور وغيرها ، فنجد مثلا انها جميعها اما ان تكون بقرب منطقة لها ثروة طبيعية ، واما على طريق تجاري سواء ا كان برياً ام بحرياً ٠ فعلينا عند هذه النقطة ان نتذكر امكان سهونا عن ملاحظة بعض النقط الاخرى المهمة ٠ وهذا موضع آخر يجوز ان يقع فيه الغلط ٠ ومع ذلك نضع نظرية موقتة في ثالث الدرجات بناءً على المعلومات التي جاءت في الدرجة الثانية ٠ ثم نتقدم لرابع الدرجات حيث نبدأ بتجربة تلك النظرية الموقتة ٠ وذلك بالبحث في عدد آخر من المدن ، فنجد ان بحثنا الاخير يثبت النظرية ، ونجد ايضاً ان التاريخ يثبتها ٠ الا اننا نجد بعض المدن التي تشذ عن حكم النظرية ٠ فهنا مجال للبحث في اهمية المنظر الجميل ، والمناخ الصحي ، وغيرهما من الاسباب في مواقع المدن الكبيرة ، ولذلك يجب ان تعدل النظرية كما ذكرت في الدرجة الثالثة ، ويجب تعديلها كلما زادت المعلومات و كثرت الاختبارات ٠ وقد تمكن طالب

في السابعة عشرة من عمره من الوصول الى هــذه النتيجة والمرور بتلك الدرجات بواسطة اشارة بسيطة من معلمه .

ويجب ان نتذكر ان الطلاب الصغار لايستطيعون الصبر طويلاً ، ولذلك تجدهم عرضة للوصول الى النتيجة بسرعـة زائدة دون تفكير طويل . ولكن الطالب الذي بلغ الثانية عشرة من عمره تقريباً يستطيع ان يبدأ التمرن على الاسلوب العلمي ذي الدرجات . ويجب ان تكون المسائل منتزعة من الدروس التي يتلقاها الطلاب في الصف . ولكنها يجب ان تكون من انواع مختلفة ، لتربية قوى الاستنتاج والاستقراء والامكانية وغير ذلك . فهذا معناه ان الطالب يبدأ بعد الثانية عشرة يمزج العلم النظري (مواد الدروس) بالعلم العملي (الاسلوب العلمي) فاذا قضى اربع سنوات على هذه الحالة تحت ارشاد مدرسين خبيرين امكنه بعد ذلك ان يتقدم لتلقي الدروس العالية بفهم وعقل .

ويمكننا ان نذكر من فوائد هذا الاسلوب العلمي مايأتي :

(١) يربي التفكير الدقيق ، دون الحاجـة الى اضافة درس الى البرنامج .

(٢) يكون خير اساس لتلقي دروس العلوم الطبيعية والرياضية .

(٣) تتوحـد الغايـة من البرنامج فيشعر الطالب والمدرس ان الغاية من جميع الدروس واحدة وهي الوصول الى الحقيقة .

ولا يظن القارى ان ذلك الاسلوب لايطبق الا على الجغرافيا فهو

بالحقيقة ممكن التطبيق على كل الدروس كما ذكرنا . ففي دروس اللغة يستطيع المدرس ان يعود طلابه دقة التعبير وعدم استعمال كلمة في غير موضعها ، وتحليل هذا الامر على النحو المذكور آنفاً يوصل الطلاب الى التثبت من ان القواعد الصرفية والنحوية ليست سوى خلاصة الاختبار .

وكذلك نجد ان « الاسلوب العلمي » خير اداة لمدرسي علمي الحيوان والنبات . ويمكن تطبيق استعمال الدرجات في هذه الحالة تطبيقا منطقياً واضحاً . ويمكن الوصول الى نتائج قد تكون اكثر دقة واقرب الى الصحة ، وذلك لان الطالب لا يعتمد في هذه الحالة على « العقل » .

اما الرياضيات وخصوصاً الهندسة ففائدتها في تربية ملكة الاستنتاج . والجغرافيا كما رأينا فائدتها في تربية ملكة الاستقراء . اما التاريخ ففائدته عظيمة في فحص البينات والترجيح . واحسن طريقة لفحص مسألة تاريخية ان يتبع الترتيب التالي :

(١) توضع امام الطالب جميع البينات الموجودة ، ويعلن له ان هذه البينات ليست جميع المعلومات .

(٢) تفحص لكي يرى امكان تبويبها او عدمه .

(٣) ثم يرى هل يوثق بهذه المعلومات وهل يناقض بعضها بعضاً ، وذلك بواسطة البينة الداخلية (المنتزعة من المعلومات نفسها) او بواسطة البينة الخارجية (المنتزعة من معارضة المعلومات بغيرها من المعلومات)

الثابتة) . ففي هذه الدرجة مجال واسع لبحث مسألة « الارجحية » .

(٤) وهنا توضع نظرية تفصل الصحيح من غير الصحيح من المعلومات المشار اليها بقدر الامكان .

(٥) ثم نجرب النظرية فنرى الى اي حد يوافق ماقررنا انه صحيح في البند السابق حوادث التاريخ المعروفة المتعلقة بذلك العصر المعين . ومع ان ليس كل الحوادث التاريخية قابلة البحث على هذه الصورة فانه يمكن تطبيق ماشابهها بحسب الحالة (١)

والمهم في هذه الاسطر ان لايترك الطالب المدرسة الثانوية إلا وقد المّ بشيء من طرق التفكير وطريقة الوصول الى نتائج معقولة منطقية عند مواجهته المشاكل . فالغاية من التربية اليوم ترمي الى انماء طرق التفكير وكيفية حل المشاكل اكثر من ان ترمي الى حشو معلومات . والمعلومات بنفسها ليست لها قيمة اذا لم تساعد صاحبها على حل مشاكله وفهم محيطه فهماً مقبولاً . ولهذا السبب اخذت المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية تهتم اهتماماً خاصاً بتربية روح البحث العلمي والتفكير المنطقي في طلابها .

---

(١) راجع امثلة على تطبيق هذه الطريقة في مختلف المواضيع المدرسية في هذا الكتاب : —

Scientific Method in Schools, by W.H.S. Jones

إلا ان تجربة استعمال « الاسلوب العلمي » في المدارس تحتاج الى درس متواصل واختبارات متوالية ، اذا كان الغرض ادخالها بصورة جدية وفقاً لمنهج معين . فاذا كان هذا صعباً فبالامكان تعويد الطلاب ابسط قواعد التفكير العلمي دون مشقة . وذلك بان لايقبل المدرس كلاماً عاماً في موضع يتطلب تحديداً ووضوحاً ، وبان يرشد المدرس الطالب الى استعمال الكلمة الصحيحة التي تؤدى المقصود اذا ظهر غموض في كلام الطالب . ولا يجوز ابداً ان يقبل المدرس جواباً مبهماً ، ولو كان قريباً من الصحيح ، بل الواجب ان يدل الطالب على اماكن الضعف حتى تصلح .

ولا يجد الطالب مشقة في ان يتعود هذه المسائل الاولية ، كما ان المدرس اذا جرب تطبيقها وجدها لاذة لطلابه ، وقد تكون سبباً لاذهاب الملل عن بعضهم بالخروج بعض الخروج عن المواضيع المتعلقة بالدرس رأساً . والحقيقة ان هذا هو المشاهد ، وقد جربه بعضهم فكانت نتيجته نجاحاً يدعو الى التفاؤل . وقد نجد معذرة للمدرس اذا لم يستطع ان يطبق « الاسلوب العلمي » بحذافيره لاي سبب من الاسباب ، غير اننا لانجد مايجيز له عدم مراعاة الملاحظات الاخيرة بشأن الاجوبة المدققة واستعمال الكلمات في مواضعها . وذلك لانه يساعد المدرس كما يساعد الطالب ، وصعوبته تكون عند البدء فيه فقط ، فاذا تربت في الطلاب ملكته هان امره عليهم وعلى معلميهم .

القدس : « عبد اللطيف الطيباوي »

صوت المعلم (١)

ربما كان اعظم مايهمله المعلم من الشؤون التي تتعلق بشخصه ، صوته . فمتى كان المعلم مرتباً في مظهره ، يرتاح المرء بالنظر اليه ، فاذا ماسمع صوته ، تبددت النظرة الاولى . فلماذا لايكون للمعلم صوت مقبول كمظهره ؟ ان المعلم يكسب معيشته من استعمال صوته فلماذا اذن لايربي هذا الصوت ويروضه ؟

كثيرون من المعلمين في اشهر تعليمهم الاولى اما انهم يفقدون صوتهم مدة من الزمن ، او ينزعجون بعد تدريس مدة من الزمن . والبعض ، يتعلم بالاختبار كيف يستعمل صوته ، في حين ان غيرهم يشكون دائماً من حناجرهم التي تبح . ويعرف هـذا بالتهاب الحنجرة المزمن ، وهو ما كان يطلق عليه في الماضي « بحة حنجرة القسس »

وقبل ان نشير الى مايمكن من معالجة هذا النقص لننظر في تأثير درجة صول المعلم على صف من الطلاب . ان درجة الصوت لها اثر عظيم في سلوك الطلاب في الصف . فان المعلم ذا الصوت العالي الدرجة هو عادة ذو مزاج عصبي . وصف مثل هذا المعلم يظل ابداً قلقاً ، مشوشاً . فان درجة الصوت تنقل معها صفات المعلم العصبية في الطلاب . ونتيجة ذلك ان المعلم يجد دائماً صعوبة في تهدئة الصف وتسكينه . وصوت

---

(١) عن مجلة المدرسة الكندية .

كهذا يثير في بعض انواع الطلاب مقاومتهم ومشاكستهم . والظاهر ان مثل هذا الصوت يثير فيهم عكس العمل . ولا ينتهي اليوم في المدرسة حتى يكون المعلم قد انهك قواه ، وانهك طلابه ايضاً فيتعبون من صوت المعلم ، في حين ان الطلاب والمعلم لايخطر ببالهم ان الصوت هو سبب هذا الانزعاج .

ان الصوت الذي تكون درجته عالية ، او الصوت المزعج ، يخفي اي ازعاج بسيط يقوم به الطلاب اثناء التدريس ، ولهذا يجد الطلاب ان في امكانهم ان يعملوا اشياء فلا يسمعون ، وهكذا يتضاعف الصوت وبدلا من ان يخفف المعلم من درجة صوته يزيده ، فيكثر صياحه ، ويزداد صياح الطلاب ايضاً ، وتكون النتيجة احتكاك دائم بين الصف والمعلم .

ومن جهة اخرى فان المعلم ذا الصوت الخفيف الدرجة الواطئ لايحصل اي ارتباك في صفه ، بل ان الطلاب يكونون هادئين ، مرتبين وقلما يتعب مثل هذا المعلم في ادارة الصف وضبط النظام . فينهي مثل هذا المعلم النهار وهو نشيط ، لانه يكون قد احتفظ بقوة انفقها غيره ، كذلك الطلاب ينتهون من النهار وقد حفظوا نشاطهم . ومثل هذا المعلم يوحي الى صفه السكون والراحة ويكسب ثقة الطلاب واحترامهم . فاذا حدث اي ازعاج اثناء التدريس يسمعه المعلم بوضوح ، ويعرف ذلك الطلاب ، وتكون النتيجة ان انتباه الطلاب ورغبتهم يحفظان دون

انفاق قوى عصبية كما حدث مع المعلم الاول

دعنا ننظر الى درجة صوت المعلم من ناحية اخرى . اذ علينا ان نتذكر ان الطلاب يقلدون شعورياً ولا شعورياً، معلمهم الذي يمكثون معه خمس ساعات في النهار مدة خمسة ايام كل اسبوع ، فاذا شككت في هذه الحقيقة فما عليك الا ان تجرب التجربة الآتية : ادخل الى صف يتكلم معلمه بصوت ذي درجة عالية وقل « صباح الخير » فيجيبونك صائحين ، رادين التحية ، ثم زر غرفة معلم اعتاد توقيع صوت واطئ ، فيجيبونك بلطف ، وصوت رقيق . يرى من هذا ان صفة الصوت التي يتحلى بها المعلم يقلدها الصف كمجموع .

وتظهر اهمية الصوت في تدريس الادبيات ، فان المعلم ذا الصوت الرخيم اللطيف يفضل الآخر في اظهار جمال القطع الشعرية والنثرية.

ولنقل للمرة الثانية ان استعمال درجة الصوت العالي عند المعلم له مضار كثيرة، اذ لا ننتظر ان ينقلب خطابة في غرفة التدريس ولهذا فصوت واطئ ذو درجة واطئة او متوسط التدريس الى افضل ما يكون ، وذلك حفظاً للحنجرة وتتميما للاغراض التي شرحناها .

توقف قليلا وفكر في صوتك ؟ أتتكلم بنغم لطيف واصلا بين اصواتك ؟ ام تتكلم بنبرات متقطعة مخدشة ؟ فيخرج الصوت من فمك كما تخرج القنبلة من المدفع ؟

احرص ان تربي في نفسك عادة القراءة والتكلم المتصل الناعم ، فاذا قرأت لنفسك ، فاختر الشعر وتمرن عليه واحذر من استعمال اصوات

حروف العلة فيجب ان تلفظ هذا بنغم متناسق متصل كما يفعل المغنّي .

ومن الصعوبات العائقة عدم استعمالك تنفسك استعمالا جيداً عندما تخرج الصوت ، وكثير من المعلمين بعد ان يبتدئوا الكلام ، يقفون في وسط حديثهم بدلا من الاستمرار في اخراج الصوت مع ضغط داخلي خفيف من اعلى وادنى من ناحية الصدر ، فاذا وجدت ذلك فجرب ان تقول (ها ها) او (هو هو) فاذا فعلت ذلك عرفت اذا كنت تعوق تنفسك وتحجزه وراء الصوت ام لا . ومن الضروري ان يكون الصدر مستريحاً ، فاذا تحرك الصدر الى اعلى او ادنى فحينئذ لا تكون تطابق التنفس الى الصوت بالطريقة المثلى

ولقد نستمر في اعطاء ملاحظات من هذه الناحية ، ولكن مشاكل المعلمين الجدد في هذه الجهة واكتشافها ومداواتها ، يجب ان يقوم بها الاختصاصيون عندما يتدرب هؤلاء على التعليم ، وربما كان هذا العمل من خصائص دائرة الموسيقى في دور المعلمين ، ولهذا يجب ان تؤسس مثل هذه الدائرة في كل دار معلمين ؟

وعلى كل معلم ان ينصت الى صوته بانتباه ويجرب ان يحلل صنة الصوت واسلوب استعماله واخراجه ويمكنه ان يحسن درجة الصوت ونغمه ويسهل اخراج الصوت الى درجة ما .

والخلاصة فانني اقدم هاتين الملاحظتين :

١ = راقب درجة صوتك ولتكن الدرجة واطئة .

٢ = تأكد من انك لا تحجز نفسك وراء صوتك .

التفتيش بالمراسلة (١)

لقد ذكر منذ عهد غير بعيد في هذا الملحق ان تلامذة المدارس الابتدائية وطائفة غير قليلة من المدارس الثانوية في اوستراليا يتلقون تهذيبهم بالتراسل . فاذا كان في مقدور القوم وضع الدروس وتعلمها اوتقدير علاماتها بواسطة البريد استنتجنا ، وكان استنتاجنا امراً طبيعيا ان اعمال المعلمين تمكن مراقبتها على الطريقة عينها . ولذلك فليس من الغرابة في شيء ان يكون هذا الامر متبعا في اميركا اتباعاً والاه النجاح . وقد ورد من اميركا تقرير رسمي ضافي الذيول اصدرته ادارة الداخلية تبحث في طرق مراقبة المعلمين بنشرات متنوعة ويذكر فيه ما لا يقل عن اربعة وستين نموذجا من النشرات التي كتبها رجال التعليم في بضع السنوات الاخيرة .

وغير خفي ان هذه النشرات ليست بمجهولة في انكلترا وان مدير المعارف يقدر، عندما تدعو الحاجة ان يرمي دلوه بين الدلاء، وان مجلس التهذيب له القدح المعلى فيهذا الامر . ان اخواننا الاميركان قد احسنوا تنظيم هذه النشرة بحماسة وحذق ممتازين وقد علمنا منهم ان لديهم ما لا يقل عن تسعة انواع من هذه النشرة التي قد يستعملها المراقب او المفتش .

---

(١) عن ملحق التايمس التهذيبي

فاذا صحت عزيمة مدير معارفنا او مفتش مقاطعتنا على اتباع هذه النشرة كان للمعلمين من الرسائل ما يأتي : —

١ — رسائل الحث والتنشيط
٢ — رسائل تهيئ المعلمين (وغيرهم) للاستفادة من دوائر المراقبة
٣ — رسائل المتابعة
٤ — رسائل تتعلق بالمنهج
٥ — رسائل لتوسيع نطاق الحملات التهذيبية الخاصة ولتقديم التقارير عن ذلك
٦ — رسائل لتحسين المناهج والبروغرامات على اختلاف انواعها
٧ — رسائل تتضمن أنباء ادارية تهمّ المعلمين وتشوقهم
٨ — رسائل ترمي الى توسيع نطاق تقدمهم في موضوع خاص
٩ — رسائل الاعمال الاعتيادية

وثمة امورٌ حسنة يجنيها المعلم من هذه الخطة . فان ذلك « التقرير الرسمي » يقترح ان يبعث بالرسائل في اوقات منظمة لأنها تكون اشد تأثيراً اذا كانت كذلك فيكون مثلها اذ ذاك مثل قسط شركة ضمانة الحياة . ولهذا يكون للمعلم بريدٌ منظم ثابت يشوقه من نواح عديدة . ولا يختلف اثنان في ان المعلم عند مباشرته لعمل التعليم تعترضه مشاكل جمة ، ولهذا فهو يترحَّب بنشرة تعينه على تنظيم عمله المدرسي . وكل رسالة من رسائل التنشيط يبعث بها الى المديرين او المعلمين ممن

قضوا السنين الطوال دون لقاء او اجر او ممن يكون شعارهم التذمر ورائدهم اللوم لاتذهب سدى بل تفسح المجال للارشادات الباقية · ومن ذا الذي لايسعه تقدير الرسالة الآتية ولا سيما اذا صحبتها الحوالة الشهرية : —

الى معلمي القرى

ابعث اليكم برسالتي هذه عن شهر ايار لانني أخشى أن طائفة منكم تقفل مدارسها في هذا الشهر .

انني أودّ أن اشكر لكم اهتمامكم ومعاونتكم الفائقين اللذين يتبدّيان في اعمالكم التهذيبية في هذه المقاطعة في اثناء السنة المدرسية ·

وانني اتمنى ان تعود عليكم هذه العطلة بالنفع والبهجة · فقد اتصل بي ان مدارسنا الصيفية ستفتح ابوابها وستقوم بمساق دروس الولاية · ولذا فاني ارغب اليكم ان تلتحقوا بصفوفها اذا كان ذلك في مقدوركم ·

لقد ورد إليَّ لحد الآن ستة عشر سجلاً للأدوات فلا تنسوا ان تبعثوا بسجلاتكم · اقبلوا مني الشكر الجزيل .

على ان رسالة التنشيط لاتنحصر في المعلم بل هي توجه الى الطالب لينال مايستحق من الاطراء · فكم يبتهج المتقدم الى امتحان الشهادة الابتدائية عندما ينبئه الفاحصون عن نجاحه على المنوال الآتي : —

عزيزي الطالب

من دواعي غبطتي ان اعلمك انك نجحت في امتحانك . ومن بواعث امتيازي ان اقدّم اليك الشهادة المؤذنة بقبولك في المدرسة العالية . واني اعلل النفس بالآمال بانك لا تألو جهداً في تزييد القسط الذي نلته من التهذيب . وانا على اكثر من اليقين من انك تبذل اقصى الجهود لتطبق في حياتك شعار صفك « الى الامام والى العلى » فتبرهن لوالديك ولمعلميك ان الجهود التي بذلت في سبيلك من قبلهم لم تذهب سدى .

وقد صحت عزيمتنا على جعل يوم الاحتفال بتوزيع الشهادات يوماً معدوداً . فاجتهد ان تحضر في الساعة الواحدة ونصف بعد الظهر الى القاعة الكبرى وهناك تنضم الى صفك وتسير معهم الى مكان الحفلة . هذا واني اتمنى ان يكون ذلك اليوم عظيماً مثلما اتمنى ان يكون نجاحك عظيماً

صديقك المخلص

مراقب المقاطعة

ومهما يكن من امر فان عدداً كبيراً من الرسائل يتضمن اموراً جدية ويعالج بحوثاً خطيرة . فانك اذا التفتّ الى الرسائل رقم (٢) و (٣) و (٤) بنوع خاص ألفيت انها تتضمن التدقيق والاتقان اللذين تتطلبهما إدارة المعارف في الولايات المتحدة من معلميها .

وغير خفي ان التعليم عملٌ شاق ومتعدّد الجوانب في قرى الولايات

المتحدة . ولا مندوحة لنا في الختام من الاعجاب بالحماسة الصادقة التي يبديها المعلمون في اميركا والاعمال الطيبة التي تقوم بها ادارة المعارف فيها . وفي الواقع انه علينا ان نتعلم اشياء عديدة من مهذبة الاميركان إن لم يكن الاسلوب ففي الروح .

طبقات الناس في اوروبا

في القرون الوسطى

تمهيد

عرف الانسان منذ اقدم الازمنة التاريخية بميله الفطري الى تسخير قرينه في خدمته . فلم يكن ليألو جهداً في استعمال قوته في تنفيذ بغيته هذه . ولم يبرح القوي هو صاحب القول الفصل في هذا الكون اذ يستغل الضعيف ويجعل منه آلة يستعملها لقضاء مايرمي اليه من المجد والسؤدد . وانصع دليل على ذلك ماقام به الانسان في العصور القديمة من الاعمال التي تمجها الاسماع في هذا العصر وتستنكرها الانسانية . فكان يدخل في زمرة العبيد كل من عجز من اسرى الحروب عن دفع فديته أو من أفلس الناس وعجز عن دفع دينه . وعندئذ كان يشرى المسكين فيقوم بخدمة سيده الجديد التامة على اختلاف انواعها من دون ان يتناول اجراً لقاء اتعابه سوى اللقمة والكسوة .

وفي القرون الوسطى تغيرت الاحوال نوعاً ما وتطورت حسب الظروف السياسية . فارتقت درجة العبيد تدريجياً وانحطت في نفس الوقت درجة الاحرار واجتمعت الطائفتان في منزلة بين الاثنتين لاهي بدرجة العبيد ولا هي بدرجة الاحرار عرفت بدرجة رقيق الارض . فاهل هذه الدرجة هم الذين يستغلهم اهل الدرجتين العلويتين من نبلاء واكليروس كما ان ارباب الاموال يستغلون العملة الى يومنا هذا في اماكن عديدة على وجه الارض ولا سيما الاماكن التي لم تتدخل الحكومة فيها بوضع القوانين الضامنة لسلامة العملة .

وسيتناول بحثنا في هذا العدد وصف طبقة رقيق الارض التي تعتبر انها تشتمل على اكثرية الطبقة العامة وحالتها السياسية في القرون الوسطى مع مقارنتها بالطبقتين اللتين كانتا تستغلانها . وقد كان الناس في تلك العصور ينقسمون الى ثلاث طبقات تامة الانفصال عن بعضها : النبلاء والاكليروس والعوام .

النبلاء

كان كل سيد مالك لارض شاغل لمكانة في نظام المراتب الاقطاعي يعد نبيلا حسب العرف المتبع في القرون الوسطى اذ كان امتلاك الارض المنشأة كقطيعة في الاصل شرطاً ضرورياً للنبل وهذا هو السر في اخذ الاسر الارستقراطية اسماءها عن ارضها . ومنح توسعاً فيما بعد لقب النبيل او الشريف لمن يحمل الاسلحة من اتباع السيد

وحاشيته . فلم يكن اذن لقب نبيل فارغاً شرفياً محضاً كما هو اليوم .

وكان على كل سيد او نبيل بصفته تابعاً للملك او لسيد آخر ان يقوم بعدة واجبات نحو متبوعه (مولى الاخاذة او الاقطاعية) كان من اهمها تقديم المساعدة بالسيف عند الحاجة . وقد كان السيد بعد القيام بالواجبات المفروضة عليه هو ايضاً مولى اقطاعياً حقيقياً في جميع قطيعته . اذ كان له ان يسك النقود كالملك وان يقضي بين الناس فيحكم بالسجن والتغريم دائماً وبالاعدام احياناً ، وان يأتي بجيوشه المؤلفة من رجال اقطاعيته لمقاتلة أعدائه متى شاء وانى اراد ، وان يجمع الضرائب الكثيرة الموروثة عن الملك كالمكوس على البضائع الواردة لقطيعته والضرائب التي تجبى عند اجتياز الجسور او الطرق او الانهار او التي توضع على الاسواق والحوانيت . وكان يتمتع كذلك بحق تسخير الخيل مع اعاشتها كما يتمتع بتسخير اهل المدن والقرويين انفسهم لحفر خنادق القصر وتعمير الاسواق . ويأخذ حق التقسيم والبيع عند التعاقب والبيع ويحرم الوراثة الاملاك التي تترك بدون وارث ، ويجبر الفلاحين حتى الاحرار منهم على ان يستخدموا طاحونه وفرنه ومعصرته ومسلخه مقابل ايجار زهيد . وعلاوة على هذا كله فقد كان للسيد بصفته صاحب القطيعة ان يجمع من الفلاحين المتطعين من قبله ضرائب اخرى تدفع في اوقات معينة . فكان منها الميري وهو مبلغ نقدي والسخرة وهي عبارة عن شغل بضعة ايام في حرث اراضيه والعشر الاقطاعي وهو عبارة

عن قسم من المحصول . وكان له ايضاً حق الصيد وبناء الابراج للحمام والاوكار للارانب في جميع اراضيه .

فبينما نرى عامة الشعب تعيش عيشة قاسية لا تحسد عليها نرى السيد قد تلبدت سحب الحزن في سمائه وظهرت على وجهه ملامح الكآبة اذا ماطالت به ايام السلم ورأى نفسه بعيداً عن ساحة القتال ظمآن لتخضيب مهنده بدماء الاعداء . ولقد كانت الحياة الهادئة التي لا يتخللها ذعر ولا حماس من ابغض الاشياء اليه . فكان قد اعد كل شيء في قصره الحصين الحالك الجو جميع انواع الدفاع ولم يتجلَّ فيه شيء مما يجلب السرور . وهذا مايلاحظ جلياً في فجر الايام الاقطاعية حينما كانت الفوضى عامة والامن مفقوداً .

ولما استقر النظام شيئاً فشيئاً دادت الافراح والمسرات تخالج الافئدة والارواح . فاصبح الشعراء يروحون ويجيئون من بلد الى آخر منشدين الاناشيد البهجة متغنين بالاغاني المثيرة . ثم يتبعهم المشعوذون الذين يقومون بتسلية الاسياد ويمثلون احياناً بعض الفصول الروائية القصيرة في قصورهم او يقيمون حفلات الرقص . اما الفرسان فاذا ماخلت منازلهم من الضيوف أو والى اللهو بالعاب المائدة فيلعبون الطاولة والداما والشطرنج بينما بعضهم يخلقون لانفسهم اعمالاً سامية كقرض الشعر الذي لا تقل درجته عن شعر الشعراء الجوالين على الرغم من القصص التي تروى عن الاسياد في القرون الوسطى بشأن اميتهم وعجزهم عن توقيع اسمائهم .

وقد احتفظ النبلاء باثاث قصورهم على الصفة الساذجة الاولية حتى نهاية القرن الثالث عشر · الا ان هذا لم يجردها عن عظمتها · اذ كانت احجار الجدران عارية في اكثر الغرف او مطروشة بطراشة بسيطة من الكلس · بينما القاعة الوسطى الواسعة المتخذة كغرفة للطعام وللحفلات كانت تتضمن بعض الزخارف الجميلة والرسوم الفنية فكانت جدرانها مغطاة بالبسط المزخرفة بمناظر الغيضات والحيوانات وابطال الاقدمين وفرسانهم · وكان يعلق في وسط الجدران وعلى الاركان الاسلحة والدروع المختلطة بالالوية · وتمتد في وسط ارض القاعة مائدة طويلة متينة قد صنعت من خشب البلوط واحاطت بها المقاعد الخشبية المصنوعة ايضاً من نفس الخشب · وعلى رأسها يحفظ لصاحب البيت كرسي كبير تعلوه مظلة من القماش المذهب او من الحرير · ولم تكن ارض الغرفة لتفرش بالبسط بل كانت ترش عليها الاعشاب المعطرة في الصيف والتبن في الشتاء · وكانت هذه الطريقة متبعة حتى عند الملوك الذين كانوا يعيشون على البساطة · فكان لفليب اغسطس بلاط متناه في السذاجة رغماً عما كان له من الاملاك الواسعة والدخل الكبير · فهو وابناؤه لم يكونوا ليغيروا البستهم الا ثلاث مرات في السنة · وقد كانت هذه الالبسة من الصوف الخشن ·

ولم يحاول القديس لويس ان يخرج عن هذه البساطة الا في الحفلات ، فكان حينما يجلس للقضاء يلبس رداءً من صوف الجمال عليه عباءة من القماش

الغليظ . وكان يقلد الملوك في تلك المعيشة البسيطة جميع العظماء . ولم يجر انقلاب في الاثاث والعادات حتى القرن الرابع عشر .

الاكليروس

دخلت الكنيسة ضمن دائرة النظام الاقطاعي واصبح الاسقف ورئيس الدير سيدين زمانيين ايضا — الاول في مدنيته والثاني في ديره. وصار لهما املاك واسعة وعدد كبير من ارقاء الارض . وكانوا كالسيد يتمتعون بجميع حقوق السيادة حتى حقوق الحرب منها . فتحولت دار الاسقف الى حصن حقيقي وانشئ حول الدير سور تعلوه الابراج . ولبس الاساقفة ورؤساء الاديرة الخوذة الحربية على رؤسهم عند الحاجة والمهاميز الذهب على ارجلهم والدروع الزردية على اجسامهم ، والنجاد (حمالات العسكرية وساروا في مقدمة رجالهم . اما من كانت طبيعته اكثر مسالمة من بينهم فقد اناب عنه للحروب سيداً علمانياً .

وقد كانت الكنيسة الاقطاعية قوية لكثرة ماتملك من الاراضي الواسعة فالاسقفيات عديدة والاديرة اكثر عدداً ، وكان ازديادها مطرداً ، حتى ان دير كلوني الذي اسسه برنون سنة ٩١٠ م . بلغ عدد اديرته في القرن الثاني عشر الالفين ، ودير سيتو الذي أسسه روبير سنة ١٠٩٨ بلغ عدد اديرته الثلاثة آلاف والمئتين ، ودير كليرفو الذي اسسه سن برنار سنة ١١١٥ بلغ عدد اديرته في القرن الثالث عشر الفا وثمانمائة دير للنساء .

وكان لكل من هذه الاديرة المختصة بالرجال والنساء املاك وافرة اكثر من الاسقفيات . لان ابناء العائلات العريقة وبناتها لم يكونوا ليفدوا اليها صفر الايدي . ويضاف الى هذه الاملاك العطايا التي يقدمها الاغنياء الاتقياء العاملون على انقاذ ارواحهم بالتوسل بحماية قديس الدير المعروف بالراعي ولم يكن من المستطاع ان يضيع شيء من هذه الاملاك اذ لم يكن في وسع الاسقف ولا رئيس الدير أن يتصرف باصغر قطعة منها . وكان يرد للاسقف علاوة على وارداته من اراضيه العشر المفروض على جميع اراضي المؤمنين من اشراف وسوقة .

فمنابع الثروة هذه تجعل في تصرف الكنيسة قوة لا يستهان بها اذ تؤلف من الفلاحين التابعين لها المقيمين في اراضيها جيشاً جراراً ، وتقطع من تلك الاراضي الواسعة قطيعات تخضع لها جماعة من الاتباع ورجال الحرب . ولما كانت الكنيسة سيدة في ارضها كان في استطاعتها أن تتغلب في هذه الطريقة على اكبر الاسياد ، وقد اتخذ الاحبار القاباً تشف عن قوتهم هذه . فكان كل من اساقفة ريمس ولنغر ولاون يعرف بالاسقف ـ الدوق ، وكل من اسقف بوفي ونويون وشالون يعرف بالاسقف ـ الكونت .

أما العدل فقد كان منبعاً آخر لقوة الكنيسة ذا أثر قيم ، فكان للاسقف محكمة كسائر الاسياد الزمانيين يحاكم فيها الفلاحين المقيمين في ارضه ، ومحكمة النبلاء يحاكم فيها اتباعه من الاشراف ، ومحكمة ثالثة

تعرف بمحكمة الاكليروس يحاكم فيها رجال الدين ، ولما كانت لمحكمة الاكليروس معرفة تامة بجميع الدعاوي التي لها أقل مساس في الدين وكانت هذه عبارة عن اغلبية الدعاوي وكانت ترفع لديها حسب العادة ايضاً الدعاوي المدنية اذا اتفق المتخاصمان على ذلك فانها كانت تعقد اكثر من الثانية الكثيرة من يوءمها ويرجع الفضل الاكبر في ذلك لتفوقها في العدل على محكمة السيد ذي المطامع الشرسة .

وهناك منبع ثالث لسلطة الاكليروس وهو السلاح الذي تخولهم الكنيسة استعماله ، فكانوا يلجأون للسيف كسائر الاسياد ، وكثير منهم من لم يخطيء هدفه ، كما كان لهم بصفتهم احباراً ان يتصرفوا بسلاح الاسلحة في تلك الايام الشديدة الايمان الا وهو الحرمان ذات التأثير الكبير على الطبائع الصعبة المراس .

العوام

ويدخل تحت طبقة العوام كل من لم يكن من النبلاء ولا من الاكليروس ، فمنهم اهل المدن على انواعها ومنهم الفلاحون على اختلاف درجاتهم ، واهم انواع المدن مدن البلديات ومدن الملك .

مدن البلديات :—

نتج نمو طبقة العوام عن تحرير المدن من قبل الاسياد ومنح الملك البراءات لها او عن نمو المدن بنفسها . وقد كان النظام الاقطاعي دائماً قوياً على محو سلطة الملك من المدن والاستعاضة عنها بسيد سواءً كان

ذلك من العلمانيين او من الاكليروس · فلما ورث السيد الملك اصبح الاول مولى حقيقياً يتمتع بجميع حقوق السيادة على الجيش والقضاء والمكوس كما ذكر عند بحثنا عن النبلاء · ولم تتغير حالة السكان في الواقع اصلاً · اذ كانوا قبلاً يطيعون الملك فاطاعوا السيد وما كانوا يدفعونه للملك دفعوه للسيد · الا انهم شرعوا في العمل لبلوغ حريتهم · ولم يكونوا راغبين في ان يبقوا راضخين لسلطة النبلاء · فاذا تسنى للسيد ان يتخلص من سلطة الملك فلم لا يتسنى لهم انفسهم الخلاص من سيدهم ·

اما الرغبة في التحرر فكانت شديدة ولا سيما في جنوب فرنسا حيث لم تمح ذكرى حرية بلديات المدن الرومانية الغالية القديمة · فنمت حركة التحرر في بادئ امرها هنالك وبلغت اقصى حدودها دون مقاومة عنيفة من قبل النبلاء ذوي السجايا العذبة الانسانية على الاجمال اما في الشمال فلم يتم التحرر السلمي الا في الاحوال الشاذة كما حصل لاسقف نويون الذي اسس بنفسه بلدية في مدينته · اما في الاحوال العادية فلم تستطع المدن ان تنال براءات الحرية الا بفضل سلاحها ·

فبراءات الحرية بانواعها المتعددة سواء كانت قد منحت بالرضى او اخذت غصباً تمثل جميعها خاصة عامة هي رفع شأن المدينة وجعلها سيدة على نفسها · فصار للمدينة حكامها الذين يترأس عليهم رئيس البلدية وجندها الاهلي وصندوق ماليتها ورعاتها او قديسوها البلديون وغدت في

استطاعتها ان تشهر الحروب وتحتفظ بالسلم او تعقد المحالفات حسب رغبتها اما مظاهر سيادتها الخارجية فكانت تتجلى بالاسوار التي تحيط بالمدينة وبدار البلدية حيث يجتمع الحكام وببرج قد علق فيه جرس يقرع لاعلام الناس بوقت اطفاء الاضواء ولتجمع الاهالي لاخذ سلاحهم عند الخطر وبالعلم الذي يخفق فوق البرج وبالرنوك (علائم الشرف) الملصقة على الابواب وبالختم الذي يطبع به على جميع القوانين وبالمشنقة او النضيبة (وتد او عامود يربط عليه المذنب) القائمتين في انتظار المذنب .

مدن الملك : —

اما في وسط فرنسا فلم يكن للبلديات من اثر لان الملك هو الحاكم هنالك . واذا كان الملك يتسامح في تشكيل البلديات في املاك اتباعه لكي يضعف من شوكتهم ويشجعها ويعاضدها احياناً فهو لم يكن ليسمح لها ان تنمو في املاكه . اذ كان يقاوم كل حركة ترمي الى منح الحقوق السياسية للمدن بكل ما اوتيه من قوة . الا انه لم يتردد مقابل هذا الحرمان في منحها الحقوق المدنية التي اكسبتهام كزاً سامياً .

وقد تضمنت جميع هذه الامتيازات التي منحها الملك براءة شهيرة اصدرها لويس السابع لمدينة لوري الصغيرة . وفيها قضى القضاء المبرم على اشغال السخرة واخفضت المكوس والجزوات العدلية وغدا ابن المدينة لا يحاكم الا في مدينته ولا يوقف في السجن قبل المحاكمة اذا وجد له من يكفله ولا يخدم جند المدينة الا ضمن تخوم اراضيها .

بوجود هذه المنافع الجمة الفائدة لم تعبأ مدن الملك المطالبة بالحرية السياسية التي تجلب لها العواصف والقتال الداخلي والمنازعات الانتخابية اذ كانت تتعزى بها عما فقدته من برج وختم وحكام ولو انها كانت مجبرة على اطاعة الوالي المرسل من قبل الملك ٠

وقد اخذ اهل المدن عقب اول حركة قامت في سبيل الجهاد لبلوغ الامتيازات البلدية في القرن الحادي عشر يغتنمون كل فرصة لاظهار ثروتهم وترفهم ٠ وعملوا على تقليد حياة القصور الا انه لم يسمح لهم ان يلبسوا الشعور المستعارة ولا الاقمشة الخاصة بطبقة النبلاء مهما كانت ثروتهم حتى القرن الثالث عشر ٠ وكانت تقع الغرامة على كل من يخالف ذلك ٠ مع ان هذه القوانين اهمل تنفيذها بسبب تقرب لويس اغسطس والقديس لويس لاهل المدن وهذا ماجعل الكثير منهم يفرطون في تبرجهم في القرون التالية ٠

الفلاحون :—

كانت القرى عديدة في القرن الثاني عشر ،وقد تشكل جميعها في املاك اصحاب الاراضي الواسعة ٠ فيرجع اصل الكثير منها للقصور الاقطاعية او الاديرة التي كانت تدافع عنها ايام الحروب وتغذي فيها الصناعات ايام السلم ٠ وقد كان لاحداث الابرشيات الجديدة نفس النتيجة كما يلاحظ ذلك في ايامنا هذه اذ كانت المنازل والمزارع تقوم حول برج الكنيسة تدريجيا ٠

وقد كان بعض اهل القرى احراراً يتمتعون بالحرية التامة وبعضهم ارقاء للارض قد حرموا نصف حريتهم • وكلهم يعيشون على اراضي السيد حيث يكون الاحرار عليها كمستأجرين فقط وارقاء الارض كسكان ملازمين للارض لايستطيعون ان يغادروها اذ اصبحوا كأنهم جزؤ منها لايتجزأ • فان بيعت بيعوا معها وان فروا منها اتبعوا ووقع عليهم العقاب الشديد • فالمستأجرون يدفعون المبالغ المتفق عليها في عقود الايجار في اوقاتها المعينة • اما ارقاء الارض فكانوا علاوة على دفع تلك المبالغ بصورة سخرة او نقد او عين يخضعون لحقوق المشورة في الزواج وعدم التصرف في الملك والتعاقب • اي انهم لم يكن في مقدورهم التزوج ولا الوصاية ولا مغادرة ارض السيد إلا باذن منه • على ان طبقة الاحرار كانت تزداد بفضل التحرر المستمر يوماً فيوماً • حتى ان نرمندية لم يكن فيها اثر لرق الارض منذ القرن الثاني عشر • ثم انتشرت هذه الحركة في الجنوب بسرعة وبعدئذ تبعها سائر فرنسه •

وكان الاحرار من الفلاحين وارقاء الارض المتحررون ايضاً لايرغبون في البقاء تحت حكومة السيد وهو سيد القرية الحقيقي الذي يتمتع بجميع حقوق السيادة من قضاء وجمع ضرائب وتسخير • ففي نفس الوقت الذي كانت تتحرر فيه المدن حازت القرى ايضاً على حريتها البلدية من ساداتها • فعقد اتفاق بين الطرفين حددت فيه واجبات المتحررين نحو سادتهم وزال الظلم الفادح عنهم ولم يبقَ ملازماً الا لارقاء الارض •

وقد اصبح عددهم يتضاءل منذ ذلك الوقت . وغدا اهل القرية يستطيعون ان يتجمعوا باذن من السيد في كل يوم احد حول كنيستهم ويتباحثون في مصالح بلديتهم • وكان يساعد ممثل السيد في الادارة عدد من العمد واحياناً رئيس البلدية الذي تنتخبه القرية .

ولا يسعنا هنا الا ان نجمل قولنا بان البلدية الريفية اصبحت حرة كبلدية المدينة ذات العلم الخفاق التي تمنح اهلها الالقاب الفخمة كالسيد والبارون . وعلاوة على ذلك فقد كانت اكثر منها سعادة ايضاً .

اما من جهة عوائد الفلاح وطرز معيشته فقد كانت على غاية من البساطة ، اذ كان منزله يحتوي على ثلاث عمارات منفصلة عن بعضها قد خصت الواحدة بالحبوب والثانية بالعلف والثالثة بسكنى العائلة الشخصية ففي هذا المسكن الريفي كانت توقد النار من حزم الحطب في وجاق من الحديد يرى بجانبه طنجرة وكلابة لمسك اللحم ثم فرن فيتلوه سرير كبير جداً ينام فيه المتحرر وامرأته وابناؤه والضيوف اذا نزل عندهم احد منهم • ولا يتم الاثاث الا بوجود معجن ومائدة ومقعد خشبي وخزانة ذات طبقات وجرة وسلم وهاون وطاحونة يد وقدوم وبعض السلال والآلات الاخر • اما ما كان يستعمله الفلاح لشغل ارضه فكان عبارة عن عربات صغيرة ومنجل ومنكاش ونورج ومقصاة كبيرة حادة وعربات كبيرة وعدد للخيل . اما المسكن فيحرسه كلب كبير ، وفي الاسطبل بقرات حلابة ، وفي الخارج مزرعة صغيرة تنبت له ما يحتاج اليه من الخضروات .

وكان لاهل الارياف ايام للراحة والمسرات اكثر بكثير من ايامنا هذه لان الاعياد كانت متعددة والتعطيل اجبارياً . وكان الفلاح يحضر الطقوس ويفضلها على اي شيء آخر ، ولم يكن ليفكر الا بلهو نفسه : فكان يشرب ويتحدث ويغني ويرقص ويضحك بملء فيه . وكانت للسهرات او ليالي السمر الحية الى يومنا هذا في كثير من الارياف في فرنسا مكانة عالية في حياة الفلاحين الخصوصية ، فهناك كانت تسرد قصص الجان المزعجة والسحرة والغيلان والعفاريت والشياطين . والعجائز المسنات كن ولا يزلن ارضاً خصباً لهذه الاقاصيص .

ولم تكن الاطعمة الفاخرة لتنسى في ايام الاحد والاعياد ، اذ كان الفلاحون يجلسون حول مائدة كبيرة عليها الخضر المشهية قد وضع فيها شحم الخنزير وخلطت بالقطع الوافرة من لحمه ، وتخلل الجميع الكؤس الدهاق من النبيذ المنعش الصافي او الجعة ، ولم تكن موائد الاغنياء لتحوي هذه الوفرة إلا أنها تشتمل على اصناف اكثر من المختارات ، ولم يكن خبز الفلاح بالرديء اذ عرف ما كان اكثره منه بياضاً وما كان مخلوطاً بانواع الحبوب الرخيصة الذي كان يؤكل في جبال الالب والبرانس .

ضياء الدين الخطيب

الحرف والصناعات

بقلم المستر ستبوارت مراقب الفنون والصناعات

٣

ولقد كان التهذيب في مامضى من الايام يرمي الى حشو ذهن الولد بالمعلومات . اما التهذيب اليوم ، وقد أضيف اليه الرسم والعمل اليدوي، فهو يرمي الى تصوير او استخراج آراء الولد وافساح المجال لتتطور فيه قوة التصوير هذه . هو يعنى بتنشئة الولد تنشئة يصير بفضلها مواطناً كريماً ونافعاً ومقدراً لما حسن من الاعمال ومحترماً للجمال . هو يميل الى تنمية الشعور بالمسوءولية عن المعلومات المدنية وعن مساعدة الغير . وإليك شيئاً من الاعمال الاميركية :—

قام أهالي إيوا بمشروع تعاوني يرمي الى تعهد كل عائلة بشجرتين لاجل تنظيم اراضي المدارس وإكسابها المناظر الجميلة . وأدخل في مدرسة دي موا العالية فن الهندسة التي ترمي الى انشاء المناظر الطبيعية العامة وذلك لكي يشتغل به الطلاب في اوقات الفراغ . فصار الطالب بعد ان يقف على مبادىء هذا الفن من الهندسة وقوفاً تاماً يرسم الخطط لتنظيم ارض بيته او ارض بيت جاره . ويعلم فيها ايضاً تخطيط المدن . وأدخلت مدرسة فورت براغ في كاليفورنيا التهذيب الصناعي التعاوني

مابين المدرسة العالية والصناعات المحلية وعلمت الاشغال في خمسة عشر صفاً . وتتعاون كلية المعلمين في كلاماكو بمشيغان مع دائرة المزارع في القرى وتعقد في يوم من شهر آذار حفلة قروية سنوية تحتفل فيها بالنجاح الذي ضربوا منه بسهم في تلك السنة . وتضع طوائف من التلامذة في مدارس لوس انجلوس الخطط لدراسة التاريخ والتدبير المنزلي . فيتعلم هؤلاء الاولاد بواسطة عمل اشياء بايديهم . ويعقد المعلمون في كل سنة مؤتمراً يحضره رجال التعليم في الولاية للبحث في تقدّم الشؤون التهذيبية ولهذا المؤتمر شهرة عالمية من حيث اعتباره مصدراً للالهام او الايحاء . وتحتوي جميع مناهج التعليم في المدارس الاميركية على الارشاد في الاعمال الخاصة بالنوادي والجمعيات ، ويشترك الطلاب في ادارة المدرسة وتدبير شؤونها ويقوم كثير منهم بالاعمال الاجتماعية الخيرية في مقاطعاتهم .

واليك حادثة منشطة تختص باعمال الخير التي تعنى بها المدارس والجماعات لمجابهة احدى الطوارئ الخطيرة .

ان مقاطعة وبستر من ولاية لوسيانيا تحتوي على ٦٠٩ اميال مربعة ولها من السكان ٢٩٤٦٠ نفساً . وقد نزلت بها منذ عهد قريب نازلة قحط شديده . فاجدبت زراعة الغلة ولم تأت اراضٍ واسعة مزروعة غلة بحبة واحدة وكان لامندوحة من حدوث مجاعة . على ان مركز مقاطعة وبستر بواسطة المدارس وبمساعدة هيئات متحالفة اتمّ بروغراماً لحفظ

الطعام في مدة وجيزة وهي ستون يوماً .

ومن بواعث الغبطـــة ان السماء جادت في اخريات الصيف بمطر كاف لزراعة الحمص والفول واللفت الخ . فاغتنم المزارعون هذه الفرصة ونمت مزروعاتهم هذه بكثرة في تشرين الاول . ولو ان هـذه الخضر اتلفها الصقيع لوقعت الواقعة واقبلت المجاعة . إن مراقب المقاطعة دعا في ٢٠ تشرين الاول الى عقد مؤتمر يحضره مأمور الايضاحات الزراعية وممثلو جامعة لويسانيا الحكومية . وكان من نتائج هذا المؤتمر أن أقرَّ المؤتمرون مشروعاً معيناً وهو : ان تجمع في الحال جميع اجهزة الطبخ البخارية التي يستعملها الافراد في المقاطعة ، وان يرغب الى البوليس أن يطلب في الحال كميات كبيرة من علب التنك والمعدن لتوزيعها على المزارعين بسعرها الاصلي . وكان على مأمور الايضاحات الزراعية ان يتعهد هذا المشروع ويراقبه من جميع نواحيه . وقد وضعت في الحال تعليمات خاصة بوضع كل نوع من انواع الخضر هذه في العلب احتفاظاً بها ، وبعث بها إلى مكتب المجلس المدرسي حيث زيد عدد نسخ هذه التعليمات وبعث بها في الحال إلى المعلمين والوالدين وجمعيات المعلمين ونوادي الاهلين وما الى ذلك من الجمعيات التي يهمها الامر . وقد استشير في ذلك رجال البنوك والمزارعون وموظفو الصليب الاحمر . وبعث بالكتاب الآتي إلى جميع مديري المدارس : —

« لقد ارتأي ان يوضع مشروع تعاوني يفسح بواسطته المجال لاهل

وبستر سوداً وبيضاً للاحتفاظ بالحاصلات الخريفية الجيدة من لفت وبامية و (Butter—bean) (١) الخ . والمشروع هو أن يوضع لحم قسم من الماشية التي هي سمينة ، ولكنها قد تموت جوعاً في الشتاء بسبب قلة الطعام . ومن المصيبة ان نقف جامدين ونضيع هذا الطعام المتراكم في المقاطعة ونحن على ابواب الفاقة . وسيحتاج مئات من اهل وبستر إلى هذا الطعام قبل انقضاء فصل الشتاء . وقد ابتاع مدير البوليس مقداراً من العلب لتسليمها هنا في أواسط هذا الاسبوع . وهذه تباع للاهلين بالسعر الاصلي . ولا يخفى ان هذا المشروع هو عمل فجائي وضع للطوارئ . وهو يتطلب افضل التعاون من كل شخص في المقاطعة . ومدير المدرسة العالية في هذه الحركة ، كما في سائر الحركات التعاونية التي لها مساس بجميع الناس هو الطليعة ما بين قومه . ومن اجل تتميم ذلك كانت الحاجة غير قليلة الى إظهار معاونتك وإسداء نصحك والاعتماد على قيادتك . وإن الفرصة سانحة لتقوم الدائرة الاقتصادية في بيتك بما عليها من الخدمة . ومن حسن الرأي أن تتصل باللجنة الزراعية المحلية في الحال ، لان الاسراع في العمل ضروري للتخلص من غائلة الصقيع . هذا وسيكون في مدرستك اناس من اهل الخبرة في تعبئة العلب والخزن . ولقد تطوع عدد غير قليل للاضطلاع بهذا العمل » .

وقد عممت هذه الخطة الى الناس بواسطة المدارس والصحف وعرف في قليل من الوقت ان دوائر الاقتصاد في المدارس لم تكن كافية لسد

---

(١) شجرة تخرج حباً يعصر منه زيت شحمي

حاجات الاهلين والقيام بمطاليبهم . اما الاهتمام الذي اظهره الاهلون فقد فاق حد المنتظر . فان النشاط العظيم الذي ابداه هؤلاء تعاظم في وقت قريب الى درجة اضطرت المجلس المدرسي الى شراء احدى عشرة آلة أخرى لتعبئة العلب ، وقد نقلت هذه الآلات وغيرها من مدرسة الى أخرى مدة ستين يوماً . واستخدمت هذه الآلات المختلفة الانواع والكثيرة العدد بين البيض والسود . واغتنم السود هذه الفرصة وتعلم مئات منهم استعمال الآلات . وهم ينوون شراء جهاز طبخ بخاري لكل مدرسة من العشرين مدرسة الخاصة بالعبيد هذه السنة . وفي العاشر من كانون الاول اذيعت هذه المذكرة :

«لقد علمتنا هذه الكارثة امرين خطيرين : الاول الحاجة الماسة الى روح التعاون الذي يلزم لكل امة تهوى ان يقام لها وزن . والثاني تعلم مئات من الناس كيفية استعمال آلات التعبئة البخارية . واذا دام هذا المشروع من الآن الى عيد الميلاد احتفظت المقاطعة بمواد غذائية تعدل قيمتها عشرة آلاف ريال »

ان حملة التعبئة التي قامت بها مقاطعة وبستر لتدلّ على كيفية خدمة المدارس للاهلين عند مداهمة الطوارئ . وقد كانت في الوقت عينه درساً بليغاً في الوطنية الحقة .

ولننظر الآن الى ماعملته بلاد المكسيك وهي البلاد التي هي اشبه شيء بفلسطين ، في انها معرضة للجدب ، وان نزول المطر فيها غير مؤكد ، وان

فيها اراضي جبلية قاحلة ، وان فلاحيها أُميون .

لقد كتب موظف في ولاية يوكاتان ، وهو نفسه من سكان البلاد الاصليين ، عن الاعمال التهذيبية والاجتماعية في ولايته هذا المثل الاعلى : —

« باراضينا الخاصة بنا ، وبالطرق الحسنة ، وبحاصلات المزارع المتنوعة ، وبتنظيم الحالة الاجتماعية في كل قرية بحيث تسدّ الحاجات الروحية والاجتماعية ، وبتزييد الحاصلات التي تصدر ، وبالجمعيات التعاونية ، وبتوسيع نطاق الصناعات اليدوية ، وبادخال التحسينات العلمية على اختلاف انواعها ، تخلق بلاد يوكاتان خليقة جديدة في جيل واحد فتحتفظ يوكاتان هذه بتقاليد اهلها الجميلة والنافعة ، وفي الوقت عينه نهضم كل ماهو نافع من العلم الحديث ، ونحفظ اراضينا ونحسنها ، وننظم حياتنا كمجموع وننمو ونتطور بحيث نصبح شعباً حراً قوياً ، وبهذا نعطي المثال للمكسيك بل وللعالم اجمع » .

وغير خفي ان هذا المثل الاعلى لم يكمل بعد ولكن الناس هناك تشربوا روحه . فهم على فقرهم بنوا مدارسهم ويبنونها ويدفعون رواتب المعلمين . ومن لم يقدر أن يقدم مالاً قدّم أعمالاً ، فقد عملوا الآجر وحفروا الخشب ونحتوا الحجارة وحملوا الاخشاب للسقوف . والفوا لجاناً من الاهلين لمساعدة المعلمين على الانتفاع بالمدارس الى أقصى درجة ممكنة . فاتخذوها اماكن للاجتماع مثلما اتخذت محلات لتدريس الاولاد . وانشأوا صفوفاً

صيفيـة لتخفيف وطأة الامية التي تملكتهم السنين الطوال ، ولتهذيب النساء في الشؤون الصحية الاجتماعية والفنون المنزليـة . وقد ناصروا هذه الحركة رغبةً في القضاء على الخمول والانحطاط اللذين خيما في بلاد المكسيك منذ الاحتلال الاسباني . وهذه الحركة يرجى منها الحصول على نتائج سريعة ومدهشة . إن الحكومة فقيرة جداً والمعلمون القانونيون قليلٌ عديدهم . ولسدّ هـذا النقص يستخدم من رجال القرية كمعلمين أفضلهم أو أشدهم رغبة . ويتلقى هؤلاء التعليم في اوقات معينة في مراكز المقاطعات بواسطة بعثة ثقافية سيارة انشئت لتعليم المعلمين الذين يتعاطون التعليم . وتتألف كل بعثة سيارة من ثمانيـة معلمين ومدير قدير . معلم للفنون المنزلية ومعلم للحرف والصناعات المحلية ومعلم للموسيقى ومعلم للزراعة ومعلم للرياضة البدنية ومعلم للادارة المدرسية والاعمال الاجتماعية .

اما مدارس القرى في المكسيك فهي مدارس اعمال ، وهي لم تنشأ لاجل تعليم قواعد العلم فحسب ، بل ايضاً لاجل تعليم اعمال الحياة . نعم هي تعلم القراءة والكتابة والحساب ولكنها تعلم ايضاً عمل الجنائن والعناية بالحيوانات والاحتفاظ بالطعام وبناء البيوت وعدداً كبيراً من الصناعات الصغرى التي يحتاج اليها الاهلون . وإنّ زيارةً لاحدى هذه البعثات السيارة لتكسب القائم بها خبرة شائقة . فقد يظن نفسه تارةً في مدرسة عالية للموسيقى حيث تجد ان كل معلم يقدر ان يغنيّ ويعزف على آلة موسيقية . وبعد ثلاثين دقيقة يتغير البروغرام فيشترك الجميع في الصناعات

الصغرى التي يجب تعليمها مثل وضع الاثمار في العلب ودباغة الجلود وصنع الاثاث والسلال والحرف الاهلية . ويصنع الفخار الجميل على دولاب كان عتيقاً ايام كان كورتز(١) صبياً .

ثم يتغير البروغرام فيشتغل جميع المعلمين بتصوير ورسم اشياء يظهر فيها الجمال والابتكار ويبنيان على التقاليد القومية . ثم يلعبون العاباً ويرقصون رقصتهم القومية القديمة . وهم لا يقلدون ماتعمله اوربا تقليداً اعمى بل ينعشون اجمل الرسوم والحرف المكسيكية القديمة ويحيونها . فهم يتعلمون ان يعملوا حراماتهم اللطيفة التي يحوكونها وسلالهم الجميلة النافعة واثاثهم وخشاخيشهم المبهجة وخزفهم المنقطع النظير . ويسير مع كل ماهو صالح وحسن من القديم علم الصحة الحديث والزراعة العلمية والعناية بالاطفال والخطابة باللاسلكي في الموضوعات التي تشوق الشعب وتلذه . وهكذا فقد تحسنت حياة القرية الى درجة اصبح الفلاح يتمتع بها ويتمم الغاية التي وجد من اجلها دون ان يتمنى الهجرة الى المدن . ومن ذا الذي لا يسلم بان حياة واعمالاً كهذه لا تفضل الحياة المزدحمة ذات الوجهة الواحدة في محلات الرعاع في المدن حيث العمل على وتيرة واحدة والبيئة لا تلائم الصحة والاخلاق .

(يتبع)

---

(١) قائد اسباني فتح المكسيك سنة ١٥٢٠

بلقيس (ملكة سبا)

مقدمة : أهم المصادر التاريخية للنزر اليسير من حياة هذه الملكة القرآن والتوراة وتواريخ العصور القديمة ولا سيما تاريخ يوسيفوس . وهو على قلته لايستغنى عنه لوثوقه . وقد اضاف المؤرخون المفسرون على ما اتصل بهم من حقائق تاريخها اساطير واقاصيص رويت لهم تتناسب بزعمهم مع مجد هذه الملكة وتوحي لتالي الكتب الدينية المتمسك بظواهر الحروف تفاسير مادية . واليوم يقف علماء التاريخ ازاء هذا الخلط التاريخي واجمين ريثما يتغلغل المنقبون في آثار اليمن والحبشة فتتبدد بنبراس العلم الممحص ظلمات الاوهام التي علقت بتاريخ حياة هذه الملكة المجيدة .

وسنحاول جهدنا فيما يلي أن نمحص شيئاً من اخبارها على مبلغ علمنا لعل ذلك يساعد مدرس التاريخ لصغارنا .

نسبها : اضطرب المؤرخون في تحقيق نسبها فمن قائل انها ابنة شرحبيل ومن ظان انها ابنة الهدهاد ومن زاعم انها ابنة اليشرح (ايلي شرح) . والحق ان اسم ابيها لا يزال غامضاً وقد ذهب الطبري الى ان والدها اليشرح بن ذي جدن بن ايلي شرح ابن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ولم أرَ في المراجع التي لديّ ذكراً عن نسبها من جهة امها سوى الخرافتين التاليتين :

الاولى : — كان والدها يخرج للصيد فيصيد الظباء وهنّ نساء الجنّ فيخلي سبيلهنّ فيخرج ملك الجنّ ويشكره على ذلك ثم صادقه وزوّجه بابنته وقيل ان اسمها ريحانة بنت السكن .

الثانية : — تصور لابيها في بعض قنصه حيتان : سوداء وبيضاء فقام بقتل السوداء منهما ثم حمل البيضاء الى بيته وصبّ عليها الماء فاذا بها شاب مذعور فشكره على عمله واخبره انه ملك الجنّ وان الحية السوداء غلام متمرد عليه فعرض عليه المال والطب فلم يأبه بهما فزوجه بابنته واشترط عليه شروطاً فعلقت منه ببلقيس ثم نقض تلك الشروط المأخوذة عليه فغابت عنه .

اسمها : وكذلك اختلفوا في اسمها فسماها يوسيفوس نيكولوس وسماها مؤرخو العرب بلمقة او بلقيس وكان الاحباش يسمونها مكادا ولكنها تعرف عند جمهور المؤرخين بملكة سبأ .

ميلادها : لا تذكر التواريخ زمناً موثوقاً به ولا مكاناً عن ميلادها . ويرجح انها ولدت في مأرب (١) « سبأ » عاصمة ملك ابيها وانها عاشت في القرن العاشر قبل الميلاد .

نشأتها : اغفل جلّ المؤرخين ذكر عهد نشأتها ومحيطها الذي نشأت فيه : ذلك العهد الذي من شأنه ان يضع اساس حياة المرء المستقبلة .

(١) تقع على بعد اربعة اميال من صنعاء

على إنا وان فقدنا هذه السلسلة من تاريخ حياتها فقد نستطيع ان نستطلعها من حياتها في عهد ملكها .

كانت بلقيس تنشأ في قصور اسلافها كما نعهد ذلك في تربية ابناء الملوك وبناتهم . وكانت تحيط بها الخادمات الطائعات ، وربما كان لطيب هواء مأرب وجمال حدائقهـا اثر بيّن في جمال خلقها وخلقها . وقد كانت تعد لتسوس مملكة فلقنت النظم والطرق اللازمة مما جعل المؤرخين يثنون على حسن اخذها بزمام الملك والسير فيه سيراً حسناً .

عهد حكمها : ملكت بلقيس بعد الهدهاد بن شرحبيل وكان سبب تمليك السبأيين اياها مع انفتهم من تمليك النساء ان الهدهاد هذا اساء السيرة وانهمك في الغش واصبح همه التمتع بالنساء الحسان واشتهر بذلك حتى جاء بنت عمه بلقيس في قصرها فاعدت له رجلين فقتلاه ثم اخبرت كبراء المملكة بذلك ووبختهم على انحطاط همتهم فانتخبوها ملكة عليهم فاصبحت بذلك في عداد التبابعة وقيل انها سادسة تبابعة السبأيين .

كانت مملكتها غنية في التجارة ، نخمة في مدنيتها . فكانت تجارة الهند تمر الى مصر والشام وقد آثر تجار سبأ ان يسلكوا الطريق البرية لهذين القطرين لعسر الملاحة في البحر الاحمر . اما مدنيتها فقد حدث المؤرخون بازدهاء مأرب بالقصور والعمارات المجيدة كحصون سلحون

وبينون وغمدان كما انبأنا القرآن عن جناتها ورقي زراعتها بقوله « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » . وقد استعمر تجار سبأ بعض اعمال الحبشة فجعلوها مراكز لتجارتهم في افريقيا وكان الاحباش يدعون بلقيس مكادا . وتشير الآثار المصرية والاشورية بان بعض ملكات سبأ بسطت سلطتها على بعض الحبشة كما تؤكد النقوش الاثرية التي اكتشفت في العلا (نشرها D.H.Muller) بان السبأيين استعمروا المدن التي مرّت بها تجارتهم براً او بحراً في بلاد العرب وفي افريقيا ، وربما كان مجيء ملكة سبأ الى سليمان مع قافلة تجارية اتخذت طريقها من سبأ الى غزة حتى تؤكد العلاقات الودية التجارية مع ذلك الملك العظيم الذي كانت سفنه تشق عباب البحر الاحمر . وقد ورد في كتاب « مجد الملوك » باللغة الحبشية (نشره العالم فرنسيس بروتوريوس سنة ١٨٧٠م مع ترجمة لاتينية) اسطورة قديمة طويلة تنص بان بلقيس وافت سليمان واقامت معه عدة ايام فعلقت منه وولدت بعد عودتها ولداً سمته مينالك كان اصلاً لملكها في الحبشة وان يهود الحبشة الفالسكاس (المهاجرين) يدعون انهم جاءوا الحبشة معه بامر سليمان والأرجح ان الفالسكاس يهود هربوا الى الحبشة لما خرب طيطس القدس . والقصة وان كانت تشير للملك بلقيس في الحبشة الا انها عارية عن الصحة في تفاصيلها .

وقد ذكر بعض مؤرخي العرب ان سليمان اقترن ببلقيس وأقرها

على ملكها لكن الرأي الذي عليه جمهورهم انه انكحها تبع ذا بتع او سدد بن زرعة بن سبأ بعد اعتناقها دين الوحدانية . وربما ود سليمان أن يجمع ملكها اليه عنوة او سلماً لتملأ بثروتها خزائن امواله التي اوشكت ان تخوى في زواجه ابنة فرعون وفي التحصين والتسليح مما اضطره لرهن عشرين مدينة في الجليل لحيرام في سبيل النقود . هذا وقد كانت بلقيس تحب العمران والسيطرة والعدل على انها كانت تدين بالوثنية كما جاء في القرآن « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » .

وفودها على سليمان : وفدت بلقيس على سليمان في السنة الخامسة والعشرين من حكمه وقد استوعبت قصة وفودها المشهورة صحائف المؤرخين حتى كاد القارىء لا يرى في تاريخ هذه الملكة شيئاً يستحق الذكر إلاّ هذه الحادثة وقد قص المؤرخون المفسرون القصص الغريبة في ذلك ولا سيما وصف اعمال الهدهد وهديتها الى سليمان ، واحاجيها معه ، وقصر البلور ، والعرش فخلطوا العقبان بالصقر واهملوا الغاية الحكيمة التي ارادها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من تلاوة القصة على مسامع العرب الا وهي « قالت رب انى ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

واليك القصة مختصرة كما تقرأ في كتب التفسير :

خرج سليمان بعد بناء بيت المقدس ليحج فوافى الحرم واقام فيه مدة ثم سار منه شطر اليمن . وكان سليمان اذا سافر يرتب جنود الانس

والجن والطير ويؤمر عليهم · فنزل مفازة فسأل عن بعد الماء ههنا فاعتذرت له الانس والجن عن جهلها بذلك وقالت : ان الهدهد يعلمه فقال سليمان : عليّ بالهدهد فبحث عنه فلم يوجد فغضب سليمان وعزم على ان ينتف ريشه ويشمه فلا يستطيع ان يطير او يذبحه قالوا وان الهدهد ويسمى يعفوراً طار لينظر ماحوله من الارض فاذا هو بيعفير هدهد بلقيس في بستان لها فتحادثا معا ثم اراد يعفور الرجوع الى معسكر سليمان فقال يعفير ان سليمان يعجبه ان ترجع اليه بنبأ ملكة سبأ فطار معه واراه جميع ملكها فاحصاه · وانتهى يعفور بعد ذلك الى العسكر فتلقته الطير وقالت توعدك سليمان واخبرته بما كان قال يعفور او ماastثنى رسول الله قالت : بل قال « او ليأتيني بسلطان مبين» فاتى الهدهد سليمان وقال « احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين » وذكر له مارأى من عبادة بلقيس وقومها الشمس وان لها عرشاً عظيماً وان تحت طاعتها اربعمئة ملك يحكم كل منهم على كورة يحميها اربعة آلاف جندي وان لها ثلاثمئة وزير يديرون ملكها وان في جيشها اثني عشر الف قائد يقود كل منهم اثني عشر الف مقاتل · فقال سليمان « سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم » فوافاها وهي في قصرها فالقى الكتاب في حجرها ففضته ونادت في قومها وقالت « يايها الملأ انى القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي وأتوني مسلمين » ثم

امرتهم ان يفتوها في امرها فقالوا « نحن اولو قوة واولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » ففكرت ملياً واعتمدت اخيراً على ان ترسل لسليمان بهدية فان قبلها فهو ملك وهي اعز منه وان لم يقبلها فهو نبي . قالوا وارسلت اليه بخمسمئة وصيف وخمسمئة وصيفة البست الوصفاء ثياب الوصيفات والوصيفات ثياب الوصفاء وبعثت له بلبن من فضة وتاج مكلل بدر وياقوت ومسك وعنبر وعود وحق فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب . وتولى ايصال الهدية اليه المنذر بن عمرو وطلبت من سليمان ان يثقب الدرة وان يدخل خيطاً في الخرزة وطلبت من الوصيفات ان يكلمنه بصوت خشن ومن الوصفاء ان يكلموه بكلام تخنث وان يلاحظوا سليمان فاذا غضب فهو ملك وان بش فهو نبي فلما علم سليمان بقدوم القافلة اقام لهم ملعباً فسيحاً رصف ارضه بلبن من فضة وترك فيها فسحة لما معهم من اللبن واخرج لهم حيوانات البر والبحر العجيبة وتركها تروث على اللبن فلما قدموا عليه ورأوا منه ذلك هانت عليهم انفسهم وخافوا ان يظن بهم السرقة فوضعوا اللبن الفضي في المكان الخالي ثم لقيهم سليمان باشاً وادرك حيلة الوصفاء والوصيفات وثقبت له الأرضة الدرة ونظمت الخيط في خرزة الجزع وقال « اتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون » . فلما جاء بلقيس الخبر فزعت واقبلت الى سليمان ومعها ثلاثمئة واثناعشر الف

فيل يقود كل منهم عشرة آلاف جندي • فلما درى سليمان بقدومها قال لجنوده « ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين • قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك (لغذائك) واني عليه لقوي امين » فقال سليمان من يأتيني به قبل ذلك « قال الذي عنده علم من الكتاب (واسمه اصف) انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك » فنظر اليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره على العرش فرأى العرش ينبع من تحت كرسيه فقال « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر » فلما وصلت بلقيس وجلست الى سليمان قيل لها « اهكذا عرشك » فنظرت اليه وهو منكر وقالت « كأنه هو » ولكنها عجبت من ذلك لانها تركته في حصونها • ثم سألت سليمان عن احاج عدة فاجابها عن كل مادار بخلدها ثم امر سليمان الشياطين ببناء الصرح لتدخل عليه بلقيس فيه ، فجعلوه من قوارير خضراء وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء وجعلوا في باطن الطوابيق كل نوع من سمك البحر ثم اطبقوه فدخله سليمان ثم ادخلت عليه بلقيس فرأت السمك وما يكون في الماء من الدواب فحسبته نهراً حقيقياً فكشفت عن ساقيها لتدخل فيه وكان شعر ساقيها ملتوياً على ساقيها فلما رآها سليمان ناداها وصرف نظره عنها وسأل الشياطين عما يذهب الشعر بدون اضرار بجسدها فجعلوا له النورة • وقد ورد في العهد القديم (الملوك الاول — الاصحاح العاشر) ماهو بمثابة صلة للقصة : « فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان والبيت

الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب لم يبق فيها روح بعد فقالت للملك: صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في ارضي عن امورك وعن حكمتك ولم اصدق الاخبار حتى جئت وابصرت عيناي فهو ذا النصف لم اخبر به زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذي سمعته. طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين امامك دائماً السامعين حكمتك. ليكن مباركاً الرب الهك الذي سر بك وجعلك على كرسي اسرائيل لان الرب احب اسرائيل الى الأبد جعلك ملكاً لتجرى حكماً وبراً..... واعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت عدا ما اعطاها اياه حسب كرم الملك سليمان فانصرفت وذهبت الى ارضها هي وعبيدها.»

وسأقابل فيما يلي مافسره العلماء الاقدمون بما يراه محمد علي الهندي مما يتعلق باركان القصة المتقدمة

(١) **مسألة الهدهد**: مجمل ماذكرته كتب التفسير ان سليمان كان في مسير يسيره واحتاج الى الماء فتفقد الهدهد الذي يرى الماء تحت الارض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين فلم يره فاقسم ليعذبنه بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس او ليقطعن حلقومه إن كان غيابه بغير عذر. قال محمد علي ما بيانه «يجب الا نفهم من (الهدهد) الطائر المعروف بل ان نجعله علماً لرجل. هذا ولو قصد (بالطير) في الآية

جنس المخلوقات الطائرة لانه يجوز في اللغة ان تقول عن رجل اسمه الهدهد الطير من قبيل المجانسة وقد شاع امثال هذه المجانسة في غير لغتنا فمن سموا باسماء الحيوان والطير وقد روى العرب ان تبعا كان يدعى الهداد (الهدهد) . ولو انا حملنا تفسير الآيات التاليـة لها عن شخص لصح المعنى اكثر مما يصح عن طائر ونرجح ان سليمان كان يتكلم عن احد ضباط حاشيته لان تهديد اعظم ملوك العصر هدهداً ضعيفاً بقوله (لاعذبنه عذاباً شديداً او لأذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين) مناف للعقل ونحن نعرف مانعرف عن حكمة سليمان وفوق ذلك ان طبيعتنا البشرية لاتسلم بان الهدهد ينطق بعقائد التوحيد التي حسرت الافهام احياناً عن تفهمها ، واحلام الطيور مضروب بها المثل في الضعف» .

(ب) **الهدية والموكب** : لاريب في انها دخلت القدس في موكب معتدل تحمل لسليمان الهدايا التي تليق بالملوك كالذهب والعطور والطيب والعنبر والاحجار الكريمة اما انه كان معها اثنا عشر الف قيل (١) مثلا وقناطير الذهب المقنطرة فكل ذلك تهويل في تعظيم امر هذه الملكة .

(ج) **احاجيها** : حفظ لنا الطبري من هذه الاحاجي الغريبة انها سألت سليمان : اخبرني عن ماء رواء لامن ارض ولا من سماء فسأل الشياطين فقالوا : ذلك عرق الخيل . ثم سألته عن لون الرب فخر سليمان صعقا فامره الرب ان يسألها مرة ثانية عن ذلك فسألها فقالت نسيت

---

(١) القيل الامير وهو نعت اشتهر به امراء اليمن وجمعه أقيال

ماسألت . وذكروا انها ارسلت اليه بدرة ليثقبها دلالة على نبوته فعجزت الانس والشياطين عن ذلك وثقبتها الأرضة (١) بشعرة منها ولكنا نرجح انها انما جاءت لتستمع لحكمه وقدحوت التوراة شيئاً كثيراً منها .

(د) **قصر البلور** : ذكروا في سبب بناء هذا الصرح ان الشياطين خافوا ان يتزوج سليمان بلقيس فتلد له غلاماً فلا ينفكون من العبودية فوشوا اليه انها امرأة شعراء الساقين وان قدميها كقدمي الحمار فاراد ان يتحقق ذلك بنفسه فامرهم ببناء قصر من البلور ارضه من بلور شفاف جداً وان يجري تحته نهر ماء عذب ويجعل فيه انواع السمك ثم جلس سليمان على سريره في صدر الصرح وادخلت بلقيس عليه فلما رأته حسبته لجة و كشفت عن ساقيها » لتخوضها فرأى حسن قدميها فناداها انه زجاج . في هذه القصة اختلاق لتفسير « وكشف عن ساقيها » على اننا يمكننا ان نفسر الكشف عن الساق بالاستعداد لامر شاق وقد ورد ذلك في غير موضع واحد في القرآن وامثاله كثيرة في اللغة . وما كانت غاية سليمان من اقامة الصرح لها الا ليرشدها الى التوحيد من حيث لاتدري ويريها ضلالها القديم فلما استبانت خطأها في اجتياز ارض الصرح ادركت قصد سليمان في هدايتها الى الحق وعلمت انها خدعت نفسها في عبادة الاوثان كما خدعتها في الصرح وان عبادة الخالق ذي اليد القديرة في الطبيعة اسمى غاية من

---

(١) الأرضة وهي ماتعرف بدودة العث

عبادة الوثن ·

(ﻫ) جلب عرشها : وصفوا ان عرشها عظيم طوله ثمانون ذراعاً وعرضه اربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد ، عليه سبعة ابواب على كل بيت باب مغلق · والحقيقة ان في ذلك غلواً وتخيلاً جيء بهما ليناسب عظمة هذه الملكة · وقد ذهب الظن ببعض المفسرين في قوله (ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين) انه عرشها الذي في مأرب واصدق من ذلك ان يفسر بعرش لها وهو ذلك العرش الذي اعده سليمان لها · وقوله (قبل ان تقوم من مقامك) يقصد به حين من الزمن · وقوله (اني عليه لقوي امين) ينبئ بانه يحتاج الى مهارة وامانة في صنعه حتى يمثل لبلقيس عرشها فترى المدنية الصناعية في ملك سليمان · اما قوله (رجل من الجن) فظاهر انه رجل من العمالقة الطوال الاشداء · وقوله (قبل ان يرتد اليك طرفك) الطرف العين والعين تفيد الجاسوس او الرسول ·

آخر ايامها : عادت بلقيس من القدس موحدة مكرمة فوجدت عمْراً ذا الاذعار قد اغتصب الملك فحاربته وانتهى الامر بان وعدته بالاقتران بها فمكثت معه شهراً ثم سمته وانفردت بالملك · ولا نعرف عن آخر ايامها سوى انها ماتت بعد حكم دام عشرين سنة وقام بالامر بعدها عمها مالك الملقب بناشر النعم ·

النتيجة : كانت بلقيس ذات جمال باهر وعقل راجح تحب العدل والانصاف ولم تكن متعصبة لدينها ، اعتنقت ديانة التوحيد لما بدت لها حقيقتها . كانت ذكية لبيبة مطاعة في قومها ، تحسب للعواقب حسابها قد ساست الامور وجربتها . كان جيشها قوياً وملكها عامراً وتجارتها رائجة وثروتها وافرة . كانت تحب الحكمة وتستمع لها وتقدر الرجال باعمالهم وقد حفظت ملكها بحسن سياستها وبما زادها الله في خلقها من الجمال . وقد زانت اعمالها بالمشورة فلم تكن تقطع في امر حتى يشهد الملأ ذلك معها .

المدرسة الرشيدية **حسين غنيم**

المراجع :

١ — القرآن الكريم

٢ — الكتاب المقدس

٣ — تاريخ الامم والملوك الطبري

٤ = كتاب المختصر في اخبار البشر — ابو الفداء

٥ — تاريخ سوريا الدبس

٦ — الاغاني الاصبهاني

٧ — العرب واطوارهم ـ الاصمعي

٨ — تفسير الزمخشري

٩ — تفسير الخازن

١٠ — تفسير البيضاوي

١١ — تفسير السراج المنير

١٢ — تفسير الجلالين

١٣ — تاريخ ابن الاثير

١٤ ـ تاريخ ابن خلدون

١٥ ـ دائرة معارف وجدي

١٦ _ Holy Quran Tr. Moh. Ali

١٧ _ Ency. Britannica

١٨ _ Ancient Hist. of the Near East ; H.R. Hall

١٩ _ The Lit. Hist. of the Arabs; R.A. Nicholson

٢٠ _ Historian's History of the World

قياسات جوية عن مختبر الكلية العربية

اقصى وادنى درجات الحرارة لشهري آذار ونيسان سنة ١٩٣٠

الشهر	معدل ادنى درجات الحرارة	معدل اقصى درجات الحرارة	معدل نزول المطر الشهري	مجموع المطر
آذار	١٠و٠٥ س	١٥و٦ س	٠و٧٠ بوصة	١٧و٥٤ بوصة
نيسان	١٣و٣ س	١٩و٧ س	٠و٨ بوصة	١٧و٩٤ بوصه

اقصى وادنى درجات الحرارة لسنة ١٩٣٢

الشهر	معدل ادنى درجات الحرارة	معدل اقصى درجات الحرارة	معدل نزول المطر الشهري	مجموع المطر
آذار	١٠ س	١٨ س	٤و١٤ بوصة	١٩و٦٦ بوصة
نيسان	١٣ س	١٩و٣ س	١٠و بوصة	١٩و٧٦ بوصة

اقصى وادنى درجات الحرارة لشهري آذار ونيسان سنة ١٩٣٢

الشهر	معدل ادنى درجات الحرارة	معدل اقصى درجات الحرارة	معدل نزول المطر الشهري	مجموع المطر
آذار	٨و٩ س	١٥و٨ س	٠و٣٠ بوصة	١٢و٩٨ بوصة
نيسان	١٣و٤ س	١٧و٦ س	٠و٤٩ بوصة	١٣و٤٧ بوصه

بلغ مجموع مانزل من المطر لهذا التاريخ (٢٥ ايار سنة ٩٣٢) مقدار ١٣و٤٧ بوصة

فهرست

صفحة

١ — كيف ينشئون الاخلاق في المدارس الانكليزية .

١٦ — الاختبارات المقدرة .

٢٣ — الحوادث العالمية الحاضرة كيف ندرسها ؟

٢٨ — الاسلوب العلمي في المدارس للاستاذ عبد اللطيف الطباوي .

٣٥ — صوت المعلم .

٣٩ — التفتيش بالمراسلة .

٤٣ — طبقات الناس في اوربا . للاستاذ ضياء الدين الخطيب .

٥٧ — الحرف والصناعات . بقلم المستر ستيوارت .

٦٥ — بلقيس (ملكة سبا) بقلم الاستاذ حسين غنيم .

٧٩ — قياسات جوية .